التداعيات السياسية لجائحة كورونا
دراسة في الفلسفة التطبيقية

د. محمد كمال الجيزاوي
قسم الفلسفة– كلية الآداب– جامعة كفر الشيخ

ملخص

كشفت جائحة كورونا (كوفيد١٩) عن كثرة من الإشكاليات في شتى المجالات، ومنها بالطبع الفلسفة، حيث أعادت التفكير فيما اعتبر من المسلمات من سيطرة العولمة، والعالم كقرية الواحدة، وقدرة البشرية على مواجهة كل التحديات، وتراجع دور الدولة الوطنية في مقابل العولمة، وأن النظم الديمقراطية هي الأقدر على مواجهة الأزمات المختلفة، على عكس النظم التي توصف بأنها استبدادية، لنكتشف في النهاية أنه عند الأزمات الكبرى تتخذ الدول ما يضمن الحفاظ على استمراريتها وأمنها، حتى لو مثل ذلك حد من كل ما تقوم عليه الديمقراطية. كما كشفت لنا تراجع حاد في نظام القطب الواحد وسيطرة الولايات المتحدة على العالم، حيث انكفأت الولايات المتحدة على نفسها، وأغلقت أبوابها على نفسها تحاول النجاة من الجائحة، متخبطة لا تستطيع تقديم العون لنفسها قبل حلفائها. كذلك برز دور الصين كدولة قوية تستطيع تجاوز الأزمات، بل والخروج منها منتصرة، حاصلة على أكبر قدر من المكاسب على كافة المستويات. كما أن نظام الغلق الذي اتعبته معظم دول العالم لم يثبت نجاعة كافية في مواجهة الأزمة، فبرغم نجاحه النسبي في الحد من تفشي فيروس كوفيد ١٩، إلا أنه على الجانب الآخر كانت له العديد من الآثار السلبية التي فات الأضرار الناتجة عن الجائحة. ووقعت القيادات السياسية في الدول المختلفة في أخطاء متوارثة من الجوائح السابقة، وعادت نظرية المؤامرة للظهور بقوة. ونتناول ذلك في بحثنا بالشرح والتحليل، في محاولة لاستشراف آفاق المستقبل

الكلمات المفتاحية: العولمة والدولة الوطنية، الاستبداد والديمقراطية، عالم ما بعد كورونا، القيادة السياسية، نظرية المؤامرة.

(ISSN: 2536 - 9555)

Abstract

The coronavirus pandemic or covid-19 revealed many problems in various fields, including, of course, philosophy, It make us rethinking what was considered to be the domination of globalization, the one village world, the ability of humanity to face all challenges, the decline of the role of the national state in exchange for globalization, and if the democracies are the most capable of facing different crises, unlike those described as authoritarian, to finally discover that in major crises states choose to ensure their continuity and security, even if it leads to retrogression on the basis of many democratic systems. The pandemic also revealed to us a sharp decline in the unipolar system and U.S. control of the world, where the United States retreated and closed its doors to itself trying to survive from the pandemic, making it unable to help itself, not its allies. As a powerful country, China's role as a strong country that can overcome crises, and even emerge victorious, it also emerged with the greatest gains at all levels.

Most of the world's closed systems have not proved effective enough in the face of the crisis. Although it has been relatively successful in reducing the spread of AIDS, on the other hand, it has many effects The negative damage caused by the accident. In different countries, large-scale repeated mistakes by political leaders in the past have occurred, and conspiracy theories have returned strongly. In our research, interpretation and analysis, we try to explore the future prospects.

Keywords:

globalization and national state, autocracy and democracy, post-Corona world, political leadership, conspiracy theory

مقدمة

عرف الانسان الأمراض المعدية منذ اعتمدت البشرية على الصيد، وأدى التحول للزراعة ونمو المراكز الحضرية إلى زيادة انتشار الأوبئة، و"عبر عصور التاريخ الممتدة في الماضي، أدى تفشي الأوبئة إلى تدمير المجتمعات، وحسم نتائج الحروب، والقضاء على شعوب بأكملها. لكنه أيضًا، وبشكلٍ يُمثل مفارقة، مهَّد الطريق للابتكار والتقدم في العلوم المختلفة (بما في ذلك علوم الطب والصحة العامة)، وكذلك في الاقتصاد والأنظمة السياسية"[1]. ولم تتوقف آثار جائحة كورونا على النواحي الطبية، والإشكاليات التي أثارتها في مجال الرعاية الصحية، بل امتد أثرها إلى المجال السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والتعليمي، بل والديني. ونتناول في بحثنا هذا التداعيات السياسية لجائحة كورونا والإشكاليات المختلفة التي أثارتها، والآثار المترتبة عليها. وذلك انطلاقًا من فرض رئيس مؤداه أن ثمة ارتباطًا وثيقًا بين المواقف السياسية وتداعيات الجوائح في شتى أبعادها.

ففي الواقع، تعد أزمة جائحة الكورونا أزمة في الوعي الإنساني سواءا أكان وعيا موضوعيا أو وعيا خالصا. الأمر الذي يتطلب ضرورة تغيير الخريطة الذهنية للوعي لدى العديد من الدول؛ حيث تعلن الجائحة عن حاجة العالم إلى تصدر الوعي الأخلاقي قمة سلم الوعي بدلا من صدارة الوعي الاقتصادي والسياسي، وبخاصة عندما يكشف الوعي الأخلاقي عن حقيقة الأنظمة السياسية العالمية إزاء هذه الجائحة .

فمن جانب، تكشف الأزمة عن حقيقة الأنظمة السياسية وقدراتها على مواجهة الأمور الطارئة. وفي هذه الحالة، قد تتغير أوضاع الأنظمة السياسية

[1] Tisdell, C., 2020. Economic, social and political issues raised by the COVID-19 pandemic. Economic Analysis and Policy, [online] 68, pp.17-28. Available at: <https://doi.org/10.1016/j.eap.2020.08.002> [Accessed 17 April 2021]. p 18

(ISSN: 2536 - 9555)

الحالية من حيث التقدم أو الثبات في المحل أو النكوص للوراء بدون ارتباط هذه الأوضاع بقناع الحالة السياسية والاقتصادية المدعي بها؛ حيث تكمن قيمة الأزمة العالمية في كشف النقاب عن مدى قوة الأنظمة السياسية، الأمر الذي يترتب عليه إعادة النظر في ترتيب القوى السياسية والاقتصادية لمختلف الدول، من جانب آخر.

وهكذا، تتحدد إشكالية البحث في الكشف عن طبيعة العلاقة بين الفكر الفلسفي السياسي وأزمة انتشار كورونا بوصفها محاولة فلسفية لاستخراج الحقائق التي تستقر في داخل أعماق الأزمة بوصفها اختبارا فعليا لإدعاءات القوة لدى العديد من الأنظمة السياسية الدولية.

ومن ثم، يدور البحث حول عدة محاور، نسعى من خلالها إلى تقديم تفسيرات فلسفية لمجوعة من التساؤلات، و منها:

١- ما هي الآثار المترتبة على جائحة كورونا على المستوى السياسي العالمي؟

٢- هل أثبتت العولمة قدرتها على التصدي للأزمات الكبرى مثل جائحة كورونا؟

٣- ما مصير الدولة الوطنية، وهل كانت أكثر نجاحًا في التصدي للجائحة؟

٤- كيف تم استغلال الجائحة أيديولوجيًا على مستوى النظم السياسية المختلفة؟

٥- أيهما أكثر نجاحًا في مواجهة الأزمة: الدول الاستبدادية أم الديمقراطية؟

٦- هل تشابهت مسالك الدول الاستبدادية والديمقراطية في مواجهة الأزمة؟

٧- ما هي آثار الأزمة على الصراع الدولي بين الصين والولايات المتحدة على قيادة العالم؟

٨- هل نجح الغلق في الحد من انتشار الجائحة؟ وما هي الآثار المترتبة عليه؟

٩- ما أهم الأخطاء التي تقع فيها القيادة السياسية وقت الأزمات وكيف يمكن تفاديها ؟

١٠- كيف أدت الجائحة إلى ظهور نظرية المؤامرة مرة أخرى؟ وما هي أدلة المؤيدين والرافضين لها؟

وفي هذا المقام، يستخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي النقدي المقارن بغية إيجاد تفسير عقلي أخلاقي للأوضاع السياسية العالمية الناجمة عن الجائحة. فمن جانب، يكشف الباحث عن العلاقة الزمنية بين الدول والأزمات الجائحية؛ يكشف عن حقيقة التاريخ العالمي للجوائح وتطور ظواهرها وآثارها من خلال منهجه التاريخي.

ومن جانب آخر، يعتمد الباحث في البعد التحليلي من منهجه على تحديد الأطر العامة للأزمة وتحليلها، وعملية معالجتها، والاجتهاد في الكشف عن نقاط القوة والضعف في مختلف سيناريوهات معالجتها.

ومن جانب ثالث، يحاول الباحث تحديد الأسس النظرية، والإجراءات العملية التي تدعم تصوراته للأطر العامة التي يمكن أن تطوق بالأزمة، ويحاول أيضا نقد مختلف المواقف الدولية المعالجة للجائحة ،من خلال منهجه نقدي بنائي.

ومن جانب أخير، يعمد الباحث في منهجه المقارن إلى المقارنة الموضوعية بين مسالك النظم المختلفة في التعامل مع الجائحة.

لذا، يتألف البحث — بناء على منهجه — من مقدمة وستة محاور مزيلة بخاتمة— يتناول الباحث فيها أهم نتائج البحث.

وأما المحاور الرئيسة في البحث فهي:

أولاً: من البنيوية إلى التفكيكية: جدل العولمة والدولة الوطنية:

ثانيًا: الاستغلال الأيديولوجي للأزمة، إدارة الأزمة بين الاستبداد والديمقراطية وتقييد الحريات.

ثالًا: بنية السياسة العالمية ما بعد كورونا: الصراع ما بين الصين والولايات المتحدة

رابعًا: سياسات الدول بين الغلق والفتح

خامسًا: القيادة السياسية وقت الأزمات بين الكفاءة والرعونة.

سادسًا: كورونا ونظرية المؤامرة: نحو يقظة الوعي

(ISSN: 2536 - 9555)

أولاً: من البنيوية إلى التفكيكية: جدل العولمة والدولة الوطنية:

كشفت جائحة كورونا ما بدأ بعض المفكرين تناوله على استحياء قبلها من قرب انتهاء العولمة، وسيطرة القطب الواحد، وغيرها من المفاهيم، لذلك يرى البعض أنها "تمثل نقطة فارقة بين عالمين، فما كان قبلها لن يعود كذلك بعدها، بمعنى أن التغيير سوف يصيب كثيرًا من المسلمات"[٢]. الأمر الذي يفسر حالة التحول الفكري وما يلازمه من تحول لغوى. حيث يتجه العالم إلى دراسة الحالات الجزئية، مما أدى لدى البعض بهجرة التصورات الكلية من أجل تقرير حقيقة الوجود الجزئي والفردي، هجرة الأنا الكلي، والعقل الجمعي، من أجل قبول الآخر المختلف، دون التمركز حول وضعه السياسي أو الاقتصادي. فمثلاً؛ شهدت قيم السوق والنيوليبرالية، والعولمة، والديمقراطية تراجعًا واضحًا لحساب الدولة الوطنية، كما ثبت فشل الإمكانيات الضخمة للدول خاصَة في مجال التسليح، أمام فيروس لا يرى. وبذلك أصبح انهيار مفهوم العولمة أحد أهم النتائج المترتبة على جائحة كورونا، حيث لم يعد العالم ساحة حقيقية للتضامن بين المجتمعات، والتنسيق بين الحكومات في مواجهة الوباء، إذ كشف الوباء حقيقة المؤسسات الدولية التي تعاملت مع الوباء بعدم جدية في بداية ظهوره، فاكتفت منظمة الصحة العالمية بإطلاق تحذيرات من تفشي الفيروس، ولم تتخذ إجراءات حقيقية لوقف انتشار الفيروس السريع، وأخفقت في التعرف على الانتشار السريع للوباء، ولم تعلنه جائحة دولية إلا بعد تسجيل ١١٨ ألف حالة في ١١٤ بلد، مما أثر على سياسات الدول التي اتبعت تعليمات المنظمة، كما اتضح عجزها حين تركت كل دولة تقرر ما تفعله في ضوء ظروفها الخاصة. كما اكتفى الأمين العام للأمم المتحدة بإعلان تخيم عليه حالة من القلق من تسبب تداعيات الجائحة في تأجيج النزاعات والحروب في العالم دون أن يفعل شيئًا في إدارة الأزمة سوى دعوة الدول الغنية لمساعدة الدول الفقيرة[٣].

---

[٢] نافذ أبو حسنة: كورونا والنظام الدولي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٩٩، ص ١٥٢، ١٥٣

[٣] صلاح سالم: الأسئلة الكبرى للوباء الكوني، شؤون عربية، جامعة الدول العربية– الأمانة العامة، ع ٨٢، صيف ٢٠٢٠، ص ١٩، ٢٠

في المقابل، عاد مفهوم الدولة القومية للبزوغ مرةً أخرى في مواجهة الفيروس وكأنها "الحقيقة السياسية الصلبة في عالم يموج بالسيولة، وبرز دورها كفاعل أساسي سواء على حساب الطائفة والقبيلة في مجتمعاتنا المتخلفة، أو حتى على حساب الكيانات الفوقية والتكتلات الإقليمية في أبرز نماذجها نجاحًا كالاتحاد الأوروبي الذي بدا مشلولاً أمام الوباء"[٤].

وفي هذا المقام، يؤكد حلول الدولة القومية إعلاءًا لموسوعة القيم، ما دامت القومية شعورًا بالذاتية، والفردية، بوصفهما قمة السلم الأخلاقي لأية دولة إزاء أي تحديات، وهو الشعور الأخلاقي الذي يقبل الامتداد لكي يطوق بمجموعة من الدول أيضا تحت راية قومية الإقليم. مما يفسر كيف أنشأ الاتحاد الأوروبي مركز الأزمات، أو مركز تنسيق الاستجابة للطوارئ لمساعدة الدول الأعضاء في الاتحاد التي لا تستطيع التعامل مع أي أزمة داخلية تواجهها، وفي فبراير ٢٠٢٠ انتشر فروس كورونا بسرعة في إيطاليا فطلبت المساعدة من المركز، لكن الدول الأوروبية لم تستجب، ولم ترسل المساعدات اللازمة لإيطاليا، وحتى ٣٠ مارس ٢٠٢٠ حصد الفيروس آلاف الأرواح في إيطاليا، بالإضافة إلى مائة ألف مصاب، بينما كانت الإصابات في معظم دول الاتحاد الأوروبي لا تصل للألف، وبرغم ذلك لم تحصل إيطاليا على أية مساعدات من الاتحاد الأوربي، في الوقت الذي قدمت فيه الصين طائرة مساعدات بها عشرات الأطنان من المساعدات الطبية ووحدات العناية المركزة ومعدات الحماية الطبية[٥] وقدمت مصر طائرتين عسكريتين، تحملان كميات من المستلزمات الطبية والبدل الواقية ومواد التطهير[٦]. وجاءت الردود على طلبات المساعدة الإيطالية من بعض دول الاتحاد الأوروبي باردة سلبية، فصرح بعض المسؤولين في أكثر من دولة بأن أولوياتهم هي

---

[٤] السابق، ص ١٩، ٢٠

[٥] عائشة بو عشيبة: سياسات الاتحاد الأوربي في مواجهة أزمة كورونا: بين الوحدة الأوروبية وأنانية الدول، مجلة الندوة للدراسات القانونية، ع٣٢، إبريل ٢٠٢٠، ص ١٣، ١٤

[٦] سمير عمر: مصر.. الجيش يرسل طائرتين محملتين بالمستلزمات الطبية لإيطاليا، سكاي نيوز عربية، ٤ إبريل ٢٠٢٠، الاسترداد في ٥ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3eleYOR

(ISSN: 2536 - 9555)

احتياجات مواطنيهم وهم ليسوا مستعدين بالتالي لتلبية احتياجات الجارة مهما اتسمت بالأهمية[٧].

ومن ثم، قد ترجع سلبيات مواجهة القومية الأوربية للجائحة إلى استناد قوميتها على أساس اقتصادي برجماتي خالص، وبالتالي لم تعد الاعتبارات الأخلاقية ذات قيمة في السياسات الاجرائية الدولية لمكافحة الجائحة، وهو ما دفع رئيس وزراء إيطاليا للتصريح بأن الاتحاد الأوروبي مهدد بالانهيار ما لم يساعد الدول الأكثر تضررًا في الاتحاد[٨]. لم تكتف دول الاتحاد الأوروبي بعدم مساعدة إيطاليا وإسبانيا بل تم غلق الحدود بين دول الاتحاد وكأنها لم تكن مفتوحة، وتراجعت كل دولة للداخل لا تهتم إلا بنفسها، تمزقت الروابط بين الشركاء[٩]. الأمر الذي يؤكد — مرة أخرى — فشل الاعتقاد الدولى بأن الفكر البرجماتي الخالص، والذاتية المفرطة ،هما طوق الحماية، والنجاة. الأمر الذي يفسر اختلاف طرق الوقاية والعلاج التي اخذتها دول آوروبا، بناء على مبدأ الانعزالية، ويفسر أيضا حقيقة انتباه الدول الآوروبية إلى أهمية التضامن الأخلاقي، وخاصة إزاء الموجة الثانية من انتشار الجائحة.

فمن ناحية، تباينت التدابير المطبقة في دول الاتحاد الأوروبي في مواجهة الفيروس ما بين الحجر الصحي الواسع في إيطاليا وإسبانيا أو الحجر الصحي الجزئي في بلجيكا، أو متابعة الوباء خطوة بخطوة كما في فرنسا مع المحافظة قدر الإمكان على سير عجلة الاقتصاد، بل أن وزيرة الدولة للمشروعات الصغيرة والمتوسطة اعتبرت الأزمة في بدايتها فرصة لتحقيق مكاسب مالية من خلال المضاربة في البورصة. وامتدت السياسة الحمائية لرفض ألمانيا وفرنسا تصدير الموارد الطبية والصيدلانية. وأدى تجاهل دول الاتحاد الأوروبي لطلبات الاستغاثة

---

[٧] سلام الكواكبي: جائحة كونية وعلاقات دولية بين الثنائية والمتعددة: ما هو خيار المستقبل؟، شئون عربية، جامعة الدول العربية – الأمانة العامة، ع ١٨٢، صيف ٢٠٢٠، ص ٤٨

[٨] ليلى الرطيمات: النظام العالمي ما بعد جائحة كورونا، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠، ص ٨٥٦، ٨٥٧

[٩] عبد الإله بلقزيز: ملامح لعالم ما بعد كورونا، مجلة المستقبل العربي، ع ٥٠١، ص ١١٨

من الدول المتضررة لطرح البعض جدوى مواصلة العضوية في الاتحاد، خاصةً من جانب الأحزاب اليمينية[١٠].

ومن ناحية أخرى، بعد تجاوز صدمة الموجة الأولى من الجائحة سرعان ما عاد التضامن مرة أخرى للواجهة، وبدأ التعاون بين الدول الأوروبية، فتم نقل المرضى من فرنسا إلى مستشفيات ألمانيا الأقل تضررًا لتخفيف العبء على المستشفيات الفرنسية، كما تم تقديم المساعدات لإيطاليا، وتحركت مؤسسات الاتحاد الأوروبي خاصة الاقتصادية، لتحريك أموال طائلة لمواجهة الأزمة[١١].

وإذا كان الاتحاد الأوروبي ذو المنظمات المحكمة قد شارف على الانهيار في مواجهة الأزمة، فإنه من البديهي أن الدول العربية لم تكن أفضل حالاً، فداخليًا ورغم وجود لجان إدارة أزمات ولجان حد من المخاطر، وكثرة من اللجان على مختلف مسمياتها البراقة، إلا أن معظمها لم يقم بدوره في إطار منظومة وطنية موحدة في معظم الدول العربية، حيث ألقي معظم العبء على وزارة الصحة فقط بإشراف من رئيس الدولة أو الحكومة. أما على المستوي القومي العروبي فكشفت الجائحة عن هشاشة المنظومة الإقليمية العربية، وعدم قدرتها على التنسيق والتعاون لمواجهة الخطر المشترك[١٢]. فسعت كل دولة إلى محاولة مساعدة مواطنيها حتى لو كان على حساب الوافدين من الدول العربية الأخرى إليها، فشهدنا حالات كثيرة لإعادة العمالة الوافدة إلى بلادها، لعدم الاحتياج الفوري لها، ورغبةً في التخلص من أعباء إقامتها في ظل الأزمة ومتطلبات ذلك من غذاء ودواء. بينما تم تخفيض رواتب من تم الإبقاء عليه منهم. الأمر الذي يكشف عن حالة التشابه غير المتماثل بين السياسات الآوروبية والسياسات العربية. وفي نفس الوقت، يمكن القول بأن الأساس الأخلاقي العربي أساسا أكثر فاعلية من نظيره الغربي، وهو ما قد يفسر محدودية آثار الجائحة في البلدان العربية عن دول أوروبا، ويفسر أيضا ظهور الاتجاهات الرافضة للقوميات المعتدلة، وتعددية الثقافات.

---

[١٠] عائشة بو عشيبة: مرجع سابق، ص ٩: ١١

[١١] سلام الكواكبي: مرجع سابق، ص ١٤٩

[١٢] لونا أبو سويرح: العرب وكورونا: إدارة أزمة أم أزمة إدارة ؟، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٩٦، ص ٧، ٨

(ISSN: 2536 - 9555)

وبالتالي، لم يكن من المستغرب في ظل ما سبق أن تزداد قوة التيارات القومية الشعبوية المتشددة، ويزداد سطوع نجم أرباب التيارات المتطرفة اليمينية، الذين قدموا أنفسهم باعتبارهم رافضون للآخر، معارضون للأممية، والعولمة، والمنظمات الحكومية الدولية، والنخب العالمية المعروفة، مع العداء للأقليات واحتقار التعددية الثقافية[١٣]. وأسفر ذلك عن صعود زعماء شعبويين استطاعوا الوصول للحكم عبر تحويل الآثار الاجتماعية والنفسية للأزمة الاقتصادية الناجمة عن كورونا، وانهيار النظم الصحية، إلى حصان طروادة لنيل أصوات الناخبين في عدة بلدان، سواء التي تصنف ديمقراطية مثل أمريكا والهند، أو غيرها كالفلبين وتركيا والمجر ...الخ[١٤]. بل وصل الأمر في بعض الدول إلى استخدام القادة اليمينيين الجائحة لتشوية صورة مجموعات معينة، وتحميلها مسئولية الأضرار التي تحدث للبقية، مثل اتهام الأقليات المحلية أو اللاجئين أو المهاجرين والدول التي قدموا منها باعتبارهم السبب في تردي الخدمات أو انتشار الجائحة[١٥]. وساهم استغلال هذه التيارات للوباء في صعودها بشكل كبير، وخلق بيئة مناسبة وحاضنة لازدهار تيارات شعبوية ويمينية شديدة التطرف[١٦].

وهكذا، تكشف المواقف السياسية العالمية عن ظهور حالة من الثنائية بين الاتجاه نحو العالمية والاتجاه نحو القومية، بين انطولوجية الكيانات الواحدية وأنطولوجية الكيانات المتعددة. وفي ظل هذه الثنائيات، ينمو اتجاه ثالث وهو

---

[13] Givens, J.W., Mistur, E. The Sincerest Form of Flattery: Nationalist Emulation during the COVID-19 Pandemic. J OF CHIN POLIT SCI (2020). https://doi.org/10.1007/s11366-020-09702-7, 23 october 2020, accessed 25 October 2020, p 3

[١٤] إدريس المرزكيوي: القانون الدولي للكوارث والأزمات الصحية، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠، ص ٥٩٧

[15] Givens, J.W., Mistur, E. The Sincerest Form of Flattery, ibid, page 4

[١٦] على الحاج حسن: التحولات القيمية في ظل وباء كورونا: رصد تحليل نقدي لراهن العالم ومستقبله المنظور، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- مكتب بيروت، صيف ٢٠٢٠، ص ٤٤

اتجاه شكلي بدون مضمون نظرا لزيف ادعاءاته، وهو الاتجاه الذي يطلق عليه الباحث تعبير (اتجاه الزيف)، وهو اتجاه الجماعات، والتيارات المتطرفة.

وفي كل الأحوال، اتبعت النظم القومية سلوكيات متشابهة في مواجهة الوباء رغم اختلاف النظم فيها، والتي اتخذت درجات متفاوتة فيما بين سياسة المواجهة البدائية وسياسة المواجهة العلمية. ففي الأولى، يطلق عليها الباحث طرق المعالجة الأسطورية، وهي طرق تتصف بالبساطة، والسطحية، والبعد عن المنطق الإنساني الأخلاقي، حيث استخدمت مزيج من التقليل من الأهمية في البداية، وادعاء أن دولهم محمية من انتشار الوباء، والاهتمام بنشر تدابير وقائية لم يثبت صحتها تعتمد على الانعزال، وإلقاء اللوم على الجهات الخارجية، بل والمحليين غير الداعمين لهذه التيارات، وتجلى ذلك بشكل واضح في البرازيل حين زعم ساساتها أن مواطنيهم مؤهلون لمواجهة الجائحة بشكل فريد لأنهم يمكن أن يغرقوا في مياه الصرف الصحي ولا يصابوا بشيء، وانتهجت المملكة المتحدة في البداية سياسة مناعة القطيع عكس بقية الدول الأوروبية وسرعان ما تراجعت عنها، كما أكد رئيس الفلبين في فبراير ٢٠٢٠ أن الفيروس سيموت بشكل طبيعي حتى بدون لقاحات، وصرح المرشد الأعلى لإيران آية الله خامنئي أن الفيروس ليس بمأساة كبيرة، وأن الصلاة كفيلة بالتصدي له، ونصح نائب الرئيس البيلاروسي المواطنين بشرب الفودكا والرياضة للبقاء بحالة جيدة، وازداد التطرف مع رئيس الوزراء المجري الذي ألقى باللوم في بلاده على الأجانب والمهاجرين في انتشار فيروس كورونا.[١٧]. وبرغم الاختلافات الجمة بين النظم القومية إلا أن قاداتها قد ساندوا بعضهم بعضًا[١٨]. ونلاحظ أن كل ما سبق قد حدث في مصر وإن بدرجات متفاوتة على المستوى الشعبي وليس نظام الحكم من الزعم بأن المصريين محصنين ضد المرض بسبب مناعتهم، أو أن الله يحميهم وكأن الله لا يضع في رعايته إلا من يهملون ويتواكلون ولا يتوكلون.

وأما في النموذج السياسي الآخر، يمكن القول بوجود نماذج ناجحة كان حضور الدولة فيهما قويًا جدا، رغم اختلافهما الأيديولوجي والاقتصادي والسياسي

[17] Givens, J.W., Mistur, E. The Sincerest Form of Flattery: ibid, p 5:7

[18] Ibid, p 5:7

(ISSN: 2536 - 9555)

والاجتماعي، مثلما هو الحال في ألمانيا والصين. وبينما كان نجاح ألمانيا مقارنَة ببقية الدول الأوروبية يرجع إلى قوة النظام الصحي المتقدم فيها، بسبب سياسات عليا للدولة منحت قطاع الصحة والبحث العلمي أولوية مركزية، ولم تتم التضحية بهما من أجل المصالح الرأسمالية كباقي دول أوروبا، وحافظت على القطاعات الاجتماعية. فإن نجاح الصين يرجع لامتلاكها وبقوة الدولة القوية المقتدرة ذات الفاعلية التدخلية الحاسمة، وقوة العلم والبحث العلمي، وبهما تستطيع المجتمعات مواجهة الكوارث الكبرى مثل الأوبئة[١٩]. مما يفتح الطريق للتساؤل حول الاستغلال الأيديولوجي للأزمة، أو إدارة الأزمة بين الاستبداد والديمقراطية، وأيهما حقق نجاحًا أكبر.

ثانياً: الاستغلال الأيديولوجي للأزمة، إدارة الأزمة بين الاستبداد والديمقراطية وتقييد الحريات:

لم تقم دول العالم بمواجهة الجائحة فقط، بل تم استغلالها على الصعيد السياسي ما بين أتباع النظم الدستورية والاستبدادية، فأتباع كل نظام يدعون أن نظامهم الأفضل، وأن النظام الآخر هو سبب الوباء، أو في الحد الأدنى هو سبب انتشار الوباء، وانتشرت "المفاهيم الخاطئة ونظريات المؤامرة من طرفي الطيف الأيديولوجي على نطاق واسع"[٢٠]. والخلاف بين النظامين كما تحدده الأدبيات في هذا المجال يكمن في أن النظم الدستورية أو الليبرالية تتشكل فيها السلطة بطريقة ديمقراطية ومقيدة بسيادة القانون، وتكون جميع أعمال السلطة السياسية متوافقة مع الحرية الفردية، وتعلى من شأن الاستقلال الشخصي قبل الدولة، وبالتالي تتقلص فيها سلطة الدولة عن طريق القوانين. في المقابل فإن النظم الاستبدادية تتشكل فيها السلطة بطريقة تعسفية، وتضع الاستقرار كأولوية قبل الحرية الفرية، ويسود الاعتقاد بأن استقرار النظام السياسي هو أهم عنصر للأمن الفردي والجماعي،

[١٩] نافذ أبو حسنة: مرجع سابق، ص ١٥٥، ١٥٦

[20] Sergio G. Litewka Elizabeth Heitman: Latin American healthcare systems in times of pandemic, Developing World BioethicsVolume 20, Issue 2, June 2020, p 69

وبالتالي تفعل السلطات كل ما هو ضروري لحماية المجتمع وضمان الاستقرار، وليس كل ما هو قانوني، وبالتالي يمنح أصحاب السلطة سلطات تقديرية غير محدودة للقيام بما هو ضروري من وجهة نظرها لحماية المجتمع[٢١]. وقد ثار الجدل حول أي النظم كانت أفضل في مواجهة الجائحة؟ وأيها استطاعت الحد من الأضرار إلى الحد الأدنى؟ هل كانت النظم السلطوية أفضل في مواجهة الوباء أم النظم الديمقراطية؟

يذهب البعض إلى أن النظم السلطوية ممثلة في الصين ذات النظام الشيوعي السلطوي المتشدد كانت الأكثر نجاحًا في مواجهة الجائحة. وفي المقابل فإن الرأسمالية المتوحشة المسيطرة على النظام الرأسمالي الغربي هي سبب شل يد الدولة، وتوقف دورها الاجتماعي، بالتحكم في القطاع الصحي الذي تم التعامل معه كقطاع استثماري يقدم الخدمة مقابل الثمن، والعلاج لمن يستطيع فقط، وهو ما حدث في أوروبا الغربية بدرجات متفاوتة، وزادت بشاعته في الولايات المتحدة لاستسلامها الكامل للنزعة الليبرالية الجديدة التي تستمد أسسها وأوامرها من المؤسسات النقدية والعسكرية، بل وتعيش على الكوارث وتتغذي منها، وكذلك بسبب شخصية الرئيس الامريكي التي تجمع بين النيوليبرالية والشعبوية السياسية[٢٢].

وظفت الصين كافة إمكانياتها الاقتصادية، والبشرية، والسياسية، لمحاصرة الوباء، سواء بفرض العزلة الكاملة على موطن الوباء فيها، وإجبار الناس على البقاء في منازلهم، وتوفير احتياجاتهم الحياتية، دونما أدنى اهتمام بحقوق الإنسان والضجيج الغربي حولها. فنجحت الصين في رأي البعض بشكل سريع في كبح جماح الفيروس لديها، في الوقت الذي انشغل فيه الغرب بحالة من الإنكار غير

[21] Chang, YY. The Post-Pandemic World: between Constitutionalized and Authoritarian Orders – China's Narrative-Power Play in the Pandemic Era. Journal OF Chinese Ppolitical Science, (2020). October 2020, p 6, 7

[٢٢] صلاح سالم: مرجع سابق، ص ٢١، ٢٢

(ISSN: 2536 - 9555)

المفهوم، والمبالغة في قدرته على مواجهة الفيروس[٢٣]، ولم يتم اتخاذ أي إجراءات وقائية حقيقية إلا بعد أن انتشر الوباء بشدة، فاتجهوا لتطبيق الوصفة الصينية التي سبق أن انتقدوها بشدة واعتبروها سبب انتشار الوباء. بعد أن وجدوا أن ووهان التي كانت موطن الوباء أول من خرج من أسره بصرامة إجراءات الدولة، ولأن الصين تظل نموذجًا للدولة السلطوية، ذات النظام الشيوعي الاستبدادي، فقد اعتبر هذا النموذج هو الأنجح عند البعض[٢٤]. ذلك النظام الذي تميزه سمة سائدة يمكن ملاحظتها بسهولة، "وهي النظام، وهو ليس سلوكًا طوعيًا، بل إجباريًا محكومًا بشبكة تكنولوجية هائلة تشبه أذرع أخطبوط ضخم يمسك البلاد والعباد بإحكام وقسوة"[٢٥].

في المقابل توجه أصابع الاتهام للصين بأن تكميم الأفواه فيها قد ساهم في انتشار المرض وتحوله لوباء حيث تم تكميم أفواه العلماء الذين حذروا من الفيروس، وبينما تمت التضحية في الصين بمن حذر من داخل خط المواجهة الأول، فإن المسؤولين لم ولن تتم محاسبتهم[٢٦]. فالنظم الديكتاتورية هي الأكثر عرضة للأوبئة والكوارث، ذلك أن هذه النظم تميل لإخفاء المعلومات، ولا يدرك كبار المسؤولين خطورة الموقف إلا بعد فوات أوان اتخاذ تدابير وقائية فعالة، مما يؤدي لانتشار المرض[٢٧].

على الجانب الآخر ففي الدول الدستورية الديمقراطية كما تفضل تسمية نفسها، لم تختلف الاجراءات المتبعة بعد تجاوز الصدمة الأولى عما قامت به

---

[٢٣] نافذ أبو حسنة: مرجع سابق، ص ١٤٢، ١٤٣. أحمد عاطف عبد الرحمن: كورونا عولمة الداء والبلاء، مجلة المال والتجارة، نادي التجارة، ع ٦١٢، إبريل ٢٠٢٠، ص ٢،٣

[٢٤] صلاح سالم: مرجع سابق، ص ٢٠

[٢٥] صلاح عثمان: كورونا... زحف الديكتاتورية الأنيقة، ٢ ابريل ٢٠٢٠، استرداد ٢٠ ابريل ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3gb7Oh7

[٢٦] صلاح عثمان: لي وينليانغ Li Wenliang ... البطل الذي أفشى الحقيقة، ٢٧ مارس ٢٠٢٠، الاسترداد في اكتوبر ٢٠٢٠ في https://bit.ly/2RjOWID

[27] Chang, YY. The Post-Pandemic World: ibid, p 15

الدول التي يطلق عليها استبدادية، ويدعم ذلك المفكرين فيها، فيؤيد يورغن هابرماس Jürgen Habermas * تقييد الكثير من الحقوق والحريات، وإن كان يشترط أن يكون ذلك لفترة محدودة جدًا زمنيًا، وبشرط أن تكون ضرورية لتأمين الحق الأساسي في الحياة والسلامة الجسدية[٢٨]، لكن محدودية الزمن لا تنفي تقييد الحريات وأنها ليست مطلقة كما يعتقد البعض. وينطلق جوليان سافوليسكو *Julian Savulescu في تأييده لهذه الإجراءات من المذهب النفعي، حيث تصبح الرفاهية هي كل ما يهم، والحرية والحقوق مهمة فقط بالقدر الذي تؤمن به الرفاهية، وبالتالي فالإغلاق والحجر ومنع التجول كلها إجراءات مقبولة رغم أنها تمثل تجاوزًا للحق في الخصوصية والحرية ولكن لحماية الرفاهية وهي الأهم. ومثلما فعل هابرماس يشترط سافوليسكو أن يكون تقييد الحرية أو انتهاك الحقوق متناسبًا مع التأثير على الرفاهية، وبالتالي يدعم عزل مجموعات معينة إذا كانت الفائدة التي ستعود عليهم أكبر مثل عزل كبار السن وغيرهم من الفئات الضعيفة، أو كانت الفائدة التي تعود على الآخرين من عزلهم أكبر لأنهم من المجموعات منخفضة المخاطر مثل تطعيم الأطفال المعرضين لخطر منخفض من مضاعفات الأنفلونزا حمايةً لكبار السن الذين تكون استجاباتهم المناعية أقل فعالية للتطعيم، وفي الوقت ذاته معرضين لخطر أكبر لمضاعفات الأنفلونزا، فرغم أن الأطفال لا يتوقعون أن يستفيدوا بأنفسهم من التطعيم، إلا أن تطعيمهم ضروري للرفاهية

* يورغن هابرماس فيلسوف ألماني معاصر ١٩٢٩– من أهم منظري مدرسة فرانكفورت، صاحب نظرية الفعل التواصلي، من أهم كتبه Toward a rational societyو Student und Politik

[٢٨] يورغن هابرماس: حوار مع الفيلسوف الألماني هابرماس – لوموند الفرنسية / ترجمة: نوفل الحاج لطيف، مجلة حكمة، ١١ إبريل ٢٠٢٠، الاسترداد في أكتوبر ٢٠٢٠ من https://bit.ly/3fUvpTb

* جوليان سافوليسكو Julian Savulescu 1963– فيلسوف استرالي وخبير في الأخلاق الحيوية، مدير مركز أكسفورد للأخلاقيات العملية وأستاذ لأخلاقيات الطب الحيوي في معهد مردوخ وجامعة ملبورن، من أهم مؤلفاته Human enhancement, Unfit for the future: The need for moral enhancement

(ISSN: 2536 - 9555)

العامة[٢٩]، والأمر ذاته مع جائحة كورونا حيث اتبعت إجراءات الحظر والحجر وتقييد الحريات على الجميع بمن فيهم الأطفال والشباب رغم أنهم عرضة بدرجة أقل للإصابة بكوفيد ١٩ للأسباب ذاتها.

واستخدمت الاجراءات الوقائية من الجائحة في تقييد حريات الأفراد في الدول مختلفة الأنظمة فبينما استخدمت الحكومات في الصين وروسيا والدول الاستبدادية طرقًا مثل تتبع جهات الاتصال وفرض العزلة الذاتية باستخدام بيانات الهاتف المحمول، والاستخدام الواسع للتعرف على الوجه ومراقبة وسائل التواصل الاجتماعي وحد ذلك من معدل الإصابات، إلا أنه في الوقت ذاته منعت هذه الحكومات النقد واختارت عدم الشفافية لحماية موقفها السياسي على حساب الصحة العامة، وكان ذلك المسلك بالنسبة لبعض الحكومات استمرارًا للأنماط القديمة، وبالنسبة للآخرين اتجاه مثير للقلق ترك سوابق كارثية. وفي المقابل نجد دولاً دستورية مثل الولايات المتحدة تقوم بسحب بيانات الهاتف المحمول من شركات جوجل وغيرها بما يسمح بمعرفة مكان وجود المرضى، وإن اشترطوا موافقة الأشخاص على تقديم هذه المعلومات، وفي غرب استراليا صدر قانون يسمح بتثبيت أدوات المراقبة في المنازل لمراقبة الموضوعين تحت الحجر الصحي، كما استخدمت الهند وهونج كونج سياج افتراضي حول مناطق الحجر الصحي وراقبوا الإشارات الرقمية الصادرة من الهواتف المحولة والأساور لمنع مخالفي القواعد وسجن المخالفين، واستخدمت الشرطة في انجلترا طائرات بدون طيار لرصد حركة المواطنين الذين خرقوا الحجر الصحي[٣٠]. وفي فرنسا وافقت الأكاديمية الوطنية للطب في مايو ٢٠٢٠ على إنشاء نظام يشارك بيانات المصابين، وجهات الاتصال الخاصة بهم في هذا النظام، ومن كانوا على اتصال بهم ووضعهم في الحجر الصحي أربعة أيام، والاحتفاظ بهذه البيانات لمدة عام،

[29] Julian Savulescu and others: Utilitarianism and the pandemic, BioethicsmVolume 34, Issue 6, july 2020, p 628

[٣٠] عثمان الزياني: المراقبة الرقمية في زمن جائحة كورونا، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠، ص ٥١٩، ٥٢٠

وهو نظام ينتهك حقوقًا أساسية للمرضى مثل السماح بتداول البيانات الشخصية للأفراد دون موافقتهم، وخرق الخصوصية الطبية للمرضى[٣١]. وبالتالي فإن الرقابة والتوجيه لم يكونا قاصرين على النظم الاستبدادية بل امتدا للدول الديمقراطية بذات الدرجة، وهو ما كشف وجود هذه الإمكانية وبشكل كبير قبل الجائحة، وربما تم استخدامها دونما إعلان عن ذلك، وذلك لرقابة الانسان وتوجيهه كيفما يشاء المتحكمين بتلك النظم، وبذلك "كشفت جائحة الفيروس التاجي، وما صاحبها من إجراءات للإغلاق عن برامج التشيؤ الصارخة التي مارستها الحكومات والقوى الاقتصادية لعقود طويلة خلت؛ عن كيفية تحويلنا إلى أشياء يجب السيطرة عليها"[٣٢].

وهكذا، تعتمد الآراء السابقة على المقارنة بين النظم الديمقراطية الليبرالية، والديكتاتورية وإدارتها للأزمة، حيث فشل النموذج الأمريكي الذي لطالما قدم نفسه باعتباره صاحب قدرة فذة على مواجهة الأوبئة والكوارث بالتنبؤ والجاهزية العلمية والتكنولوجية، وهو ما دعمته سينما هوليود في الأذهان، وكذلك النموذج الغربي في معظم الدول الرأسمالية مثل إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا، في مقابل النجاح الصيني السلطوي في مواجهة الفيروس. يتجاهل كلا الاتجاهين نجاح نظم ديمقراطية مجاورة للصين في مواجهة الفيروس مثل كوريا واليابان، ليس لأنها نظم ديمقراطية أو استبدادية، ولكن وبشكل كبير لانضباط شعبيهما، وحضور القيم الجماعية بشدة لديهم، فاعتمد الكوريون على تعزيز مفهوم المواطنة، وإبراز ثقافة الالتزام، ووجود نظام صحي فعال تظهر فيه الدولة بقوة عكس النظام الصحي الغربي[٣٣].

---

[31] Bulletin de l'Académie Nationale de Médecine: COVID-19, epidemiological tracing and medical ethics, Volume 204, Issue 9, Supplement, December 2020, https://doi.org/10.1016/j.banm.2020.

[٣٢] صلاح عثمان: مزرعة البشر... أزمة كورونا من السيمياء إلى عصر العبيد الرقمي، ٥ أكتوبر ٢٠٢٠، الاسترداد في ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٠، في https://bit.ly/2Q7ckm3

[٣٣] صلاح عثمان: المرجع ذاته.

(ISSN: 2536 - 9555)

ثالثاً: تشكيل السياسة العالمية ما بعد كورونا الصراع ما بين الصين والولايات المتحدة:

كشفت جائحة كورونا كما بينا عن انهيار التحالفات التقليدية والتوازنات العالمية، وعجز كثير من الدول أمام الفيروس وتداعياته[٣٤]، إلى جانب استمرار توارث الاعتقادات الهلوسية الخاصة بسياسات بعض دول العالم بما وضع النظم الموجودة في دائرة تبادل الاتهامات والصراع خاصة بين قطبي العالم الصين والولايات المتحدة الأمريكية. مما يمثل امتدادًا للصراع بينهما، حيث سبق الجائحة توتر قوي بين البلدين بسبب مجموعة من القضايا أهمها ملف التجارة بين البلدين، وفرض النفوذ، فكان الصراع بين البلدين محاولة لإبطاء تحول مركز الاقتصاد العالمي من الغرب إلى آسيا، ومنع الصين من الحلول محل الولايات المتحدة[٣٥]. وبدأ توجيه الاتهامات بين البلدين بخصوص تفشي الفيروس، حيث نشرت الولايات المتحدة أن الفيروس وليد مختبرات ووهان، وأن الصين تعمدت نشر الفيروس من خلال التعتيم عليه، وترك مجالها الجوي مفتوحًا مدة طويلة مما سمح بمغادرة عشرات الآلاف من المصابين لبقية دول العالم وساهم في الانتشار الكبير للفيروس[٣٦]. بل تم توجيه الاتهامات للصين بأن الفيروس قيد التجارب في مختبرات الهندسة الوراثية لأسلحة الدمار الشامل لديها في ووهان منذ سنوات، وأدى تجريبه على البشر إلى إصابة الكادر الطبي، ثم انتشر بشكل وبائي خارج الصين[٣٧].

---

[٣٤] محمد نشطاوي: النظام الدولة لمرحلة ما بعد كورونا والصراع الصيني الأمريكي، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠، ص ٦٦٤

[٣٥] ويليام جريس: ما هي الملاح الأساسية لعالم ما بعد كورونا؟، اتجاهات الأحداث، ع ٣٢، صيف – خريف ٢٠٢٠، ص ٣٦

[٣٦] حاجة وافي: الإرهاب البيولوجي وتداعياته على النظام الدولي: أزمة جائحة فيروس كورونا المستجد نموذجًا، مجلة الندوة للدراسات القانونية، ع ٣٢، إبريل ٢٠٢٠، ص ٦٤: ٦٦

[٣٧] ناصر محيي الدين ملوحي: فيروس كورونا طاعون العصر، دار الغسق للنش، سورية، ٢٠٢٠، ص ١٠٠

ووفق التقارير الصينية واجهت الصين موجة متصاعدة من العداء العالمي بقيادة الولايات المتحدة عقب انتشار الفيروس، ووصلت المشاعر المعادية للصين لأعلى مستوياتها منذ *١٩٨٩، ووصلت الحرب الكلامية لذروتها بوصف الرئيس الأمريكي لفيروس كورونا بأنه الفيروس الصيني[٣٨]. ولم يتوقف أثر الاتهامات الأمريكية للصين على المستوي السياسي أو الاقتصادي، بل امتد تأثيره إلى المستوي الثقافي والاجتماعي، حيث واجهت التجمعات الأسيوية، والأمريكان من أصول أسيوية هجمات عنصرية متعددة في الولايات المتحدة سواء كانت هجمات لفظية أو جسدية، نتيجة زيادة الترويج لخطاب الكراهية والمشاعر المعادية لآسيا والتعصب الأعمى، في مجتمع متعدد الأصول. تزامن ذلك مع زيادة التمييز السلبي ضد الأمريكان من أصول أسيوية في مجال الرعاية الصحية، ففي الوقت الذي يمثلون فيه ٢٠% من العاملين في الرعاية الصحية في الخطوط الأمامية، ويمثل الأطباء الممارسين من أصل أسيوي ١٧ % من الأطباء، فإن ذلك لم يشفع لهم في الحصول على رعاية صحية عادلة، بل وزاد التميز ضدهم بسبب انتماءهم العرقي[٣٩].

لم تقف الصين موقف المتفرج تجاه الاتهامات الأمريكية لها، حيث رفض

* تسببت فيها أحداث ميدان تيان آن مين أو الميدان السماوي إبريل إلى يونيو ١٩٨٩ والتي قام بها مجموعتين الأولى الطلاب والمفكرين الذين اعتقدوا أن الإصلاحات التي قام بها الحزب الحاكم غير كافية، أما المجموعة الثانية فهي العمال الذين رأوا أن الإصلاحات قد زادت عن حدها حيث تسببت في البطالة والتضخم المالي، واتحدت الجبهتان رغم اختلافهما، قدمت الحكومة بعض التنازلات في البداية لكنها لم تكن مرضية للمتظاهرين، واعتصموا وأضرب بعضهم عن الطعام فتم اقتحام الميدان وقتل الآلاف، مما تسبب في موجة غضب عالمي ضد النظام الصيني.

[٣٨] صلاح عثمان: رسالة كورونا عزف على الوتر المشدود بين العلم والسياسة، ٢١ ابريل ٢٠٢٠، الاسترداد ٢٠ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3dkM40s

[39] Debjani Mukherjee: Experiencing Community in a Covid Surge, The Hastinds Center Report, Vol 50, Issue 3, May/June 2020, p.10. John H. Farley and others: Promoting health equity in the era of COVID-19, Gynecologic Oncology, 2020-07-01, Volume 158, Issue 1, Page 28

(ISSN: 2536 - 9555)

المسئولون الصينيون رفضًا قاطعًا اتهامهم بأنهم كانوا أقل شفافية بشأن ما يجري، كما أرجعوا نشأة الفيروس إلى برنامج حرب جرثومية عسكري أمريكي[٤٠]، وأكدت الصين وجود أدلة لديها على أن المخابرات الأمريكية هي من نشرت الفيروس، الذي تم تخليقه في المعامل الأمريكية في أفغانستان[٤١]، وذلك في محاولة من امريكا لتخفيض مكانة الاقتصاد والقوة العسكرية الصينية، في ظل إثارة إدارة ترامب القدرة التنافسية الصينية العالمية المتزايدة، واعتبارها تهديد مباشر للأمن القومي الأمريكي[٤٢].

انسحبت الولايات المتحدة من دور زعيم العالم، واتجهت إلى تقليص دورها، وهو اتجاه لا يرتبط بإدارة ترامب، بل يعود لرئاسة أوباما، في اتجاه قومي انعزالي[٤٣]. في الوقت الذي لا توجد فيه دولة أوروبية يمكن أن تحل محلها، وفي الوقت الذي أظهرت فيه الصين تفوقًا لا مثيل له في احتواء المرض طبيًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، في ظل التزام قوي من الحكومة وتعاون كبير من الشعب، وقدمت مساعدات للدول المتضررة بما فيها الدول الأوروبية مثل إيطاليا وإسبانيا[٤٤]، وتوجه الأنظار إليها، إلا أنها لا تظهر رغبتها الخفية في تولي قيادة العالم حيث أكدت سرية الصين وتنمرها عدم رغبتها وعدم جدارتها بتولي دور قائد العالم[٤٥]. كما زادت احتمالية تفكك الاتحاد الأوربي حيث ركزت كل دولة على حماية نفسها، وحدث خلل يمس وجود الاتحاد، مثل إغلاق الحدود، والتركيز على مكافحة انتشار الفيروس داخل أراضيها فقط، ومنع تصدير المنتجات بين بعضها البعض خاصة الأدوية والمستلزمات الطبية[٤٦].

---

[40] Jonathan Marcus: Coronavirus: US-China battle behind the scenes, 24 march 2020, accessed 20 may 2020, in https://bbc.in/3aHwlXU

[٤١] حاجة وافي: مرجع سابق، ٦٤: ٦٦

[٤٢] ناصر محيي الدين ملوحي: مرجع سابق ، ٢٠٢٠، ص ١٠٧

[٤٣] ويليام جريس: مرجع سابق، ص ٣٦

[٤٤] حاجة وافي: مرجع سابق، ص ٦٨: ٧٠

[45] Thomas Gorguissian: The Economist- Globalisation unwound Has covid-19 killed globalisation?, 14 may 2020, in https://bit.ly/30zKFw1

[٤٦] حاجة وافي: مرجع سابق، ص ٧٠: ٧٢

أما على مستوى المجتمعات فإنه "في الأسفل لا توجد حركة شعبوية، انهيار ما كان يخلق المعنى في المجتمعات الصناعية، الحركة العمالية اختفت، لا يوجد فاعلون اجتماعيون، ولا سياسيون، ولا عالميون، ولا وطنيون، كل ما يحدث هو أن لدينا آلة بيولوجية، وعلى الجانب الآخر أشخاص ومجموعات دون أفكار، دون قيادة ولا جهة، دون برنامج، دون استراتيجية، ودون لغة، إنه الصمت الكامل، وهي حالة تشبه ما كان بعد الأزمة الاقتصادية ١٩٢٩ لكن سرعان ما ملأ الفراغ هتلر"[٤٧]. وبذلك يمكن القول بأن النظام العالمي لمرحلة ما بعد كورونا شهد عجز العولمة، وعدم قدرتها على مواجهة أزمات العالم، وضرورة انتهاج الدول سياسة جديدة تعطي الحق في الصحة مكانة أكبر في إطار القانون الدولي لحقوق الإنسان، وإجبار الدول على التعاون في مواجهة الأزمات الصحية الدولية، وضرورة إيجاد آليات جديدة لمنظمة الصحة العالمية من حيث تقديم الاستجابة للطوارئ الصحية العالمية، والتزام أعضائها بالتعاون وتقديم الدعم المالي لمواجهة الأوبئة، وهو ما لم يحدث مما أدى لتعميق الخلل والشرخ في العلاقات الدولية[٤٨].

لذا، لم ير البعض في الجائحة الحالية أزمة بسبب فيروس كورونا فقط، وإنما أيضًا وبشكل أكثر أهمية لأن "عولمتنا عارية... عارية من الثقة المتبادلة، وعارية من القيادة الرشيدة للإنسانية؛ فعلى مدى السنوات القليلة الماضية، قوض السياسيين عمدًا ثقة الناس في العلوم والسلطات العامة والتعاون الدولي، وثقة الدول والحكومات في بعضها البعض، ونتيجة لذلك نواجه الآن هذه الأزمة التي

---

[٤٧] آلان تورين: فيروس كورونا جعلنا نعيش اللاّمعنى في بيوتنا.. وستكون هناك كوارث أخرى. في ٦ إبريل ٢٠٢٠، الاطلاع ١٢ إبريل ٢٠٢٠ في:

https://mupresse.com/?p=4378&fbclid=IwAR1ZfAClx-Sw-2iLKKmEEf7QGQWE-qFpS3W-a2g_I9IVprTE8gNHQuIWujg

[٤٨] خديجة بن قطاط: المجتمع الدولي في مواجهة الأوبئة والجوائح، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، مج ٢، ع ٣، يوليو ٢٠٢٠، ص ٥٦٠. على الإدريسي: العالم بعد فيروس كورونا: تأملات واحتمالات، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠، ص ٦٧٧

(ISSN: 2536 - 9555)

تفتقر إلى قادة عالميين بإمكانهم الإلهام والتنظيم والتمويل لاستجابة عالمية منسقة وفعالة"[٤٩].

وبعبارات أخرى، يمكن القول بأن عدم الثقة الدولية إنما نشأت من الهوة الكبيرة بين الأخلاق النظرية والأخلاق الموضوعية، بين أخلاقيات المبادئ و المثل العليا وأخلاقيات القواعد والتطبيق، بين دساتير الدول وقوانينها وبالتالي، تكون الأزمة الحقيقية في أخلاقيات الأمم وليست في فشل مواجهة الفيروس.

وبناء عليه أصبح من الضروري صياغة نظام عالمي جديد، ولكي يكون هذا النظام ناجحًا فإنه يجب أن "يعتمد على التوازن بين الشرعية والقوة، القوة ضرورية ولكنها ليست كافية، والشرعية تلعب دورًا رئيسيًا، ومع ذلك، تعتمد الشرعية على مكانة الأعضاء المتمسكين بها"[٥٠]. لقد جرب العالم في العصر الحديث عدة نظم ما بين نظام القطبين، والقطب الواحد، وثبت بالتجربة أن سيطرة قطب واحد على العالم يقضي على الشرعية الدولية، كما أن نظام القطبين يصعب ويضعف من التعاون الدولي، لذا نرى ضرورة قيام نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب حيث لا تسيطر فيه دولة على العالم فتمارس شريعة الغاب، ولا نظام القطبين فيعيش العالم في الصراع بينهما.

رابعاً: سياسات الدول بين الغلق والفتح:

تنوعت الاجراءات التي قامت بها الدول المختلفة لمواجهة جائحة كوفيد ١٩ ما بين الغلق الكلي، والغلق الجزئي، والفتح. وبشكل عام أخذت غالبية الدول

---

[٤٩] صلاح عثمان: جائحة كورونا والعولمة العارية، ٦ ابريل ٢٠٢٠، الاسترداد في ٢٠ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3dm5lyl

[50] Yung-Yung Chang: The Post-Pandemic World: between Constitutionalized and Authoritarian Orders – China's Narrative-Power Play in the Pandemic Era, Journal of Chinese Political Science https://doi.org/10.1007/s11366-020-09695-3, 12, October 2020, accessed 20 october 2020

بالتباعد الاجتماعي، ووضع القيود الصارمة على الاحتكاك بين المواطنين لمنع انتقال العدوى.

من الإجراءات التي اتخذتها غالبية الدول، إغلاق الدوائر والمؤسسات الحكومية التي يمكن إيقاف العمل بها، أو تشغيل جزئي لما يجب استمراره في العمل، إيقاف العمل بالكثير من القطاعات التجارية والاقتصادية والخدمية خاصة التي تستوجب احتكاك مباشر، إغلاق المؤسسات التعليمية والثقافية والتحول للتعليم الالكتروني، وإيقاف الأنشطة الرياضية، إغلاق الأسواق التجارية الكبرى وعند فتحها جزئيا يتم تخفيف الأعداد وإلزام العملاء بارتداء الكمامات، ووصل الأمر لإغلاق مدن ومناطق كاملة بشكل تام، وتطبيق سياسات الحجر الصحي الإجباري، وإغلاق الحدود، ومنع وسائل المواصلات العامة، وغلق الموانئ والمطارات، وفرض الحجر الصحي على القادمين[٥١]. وترتب على هذه الإجراءات حالة من التهافت الشديد على المتاجر والمحلات والصيدليات، للحصول على المواد الغذائية ومواد التنظيف والمستلزمات الطبية بكميات كبيرة، حتى لو لم يكن الأفراد بحاجة إليها بغرض التخزين، كما قام التجار والمخازن بإخفاء السلع لبيعها بأسعار أعلى بكثير من الاسعار الأصلية. مما كشف بوضوح الأنانية الاستهلاكية للإنسان المعاصر، والتي لا يمكن الفصل بينها وبين المنظومة الاقتصادية السائدة، والخلفيات الثقافية والفلسفية[٥٢].

لم يتوقف التنافس سواء بين الأفراد أو الدول على المستلزمات الطبية، أو المواد الغذائية، بل امتد للقاحات، حيث تنافست دول العالم بشدة على اللقاحات حتى قبل طرحها للتداول في الأسواق، "وبينما اشترت الدول الغنية الحصة الأكبر من شحنات اللقاح المتاحة، تعاني الدول النامية – التي تشكل أغلبية سكان العالم

---

[٥١] أحمد فايز الهرش: أزمة الإغلاق الكبير: الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، جامعة زيان عاشور بالجلفة، مج ٢، ع٢، ٢٠٢٠

[٥٢] رشيد أمشنوك: كورونا وأزمة الإنسان المعاصر: في الحاجة إلى أخلاق كوكبية، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، مج ٤٣، ع ٤٩٩، سبتمبر ٢٠٢٠، ص ١١٢، د بهاء درويش، و د وفاء عبد العال يكتبان عن أخلاقيات التعامل مع الوباء. مايو ٢٠٢٠، اطلاع مايو ٢٠٢٠، https://bit.ly/3uZHFpT

(ISSN: 2536 - 9555)

– من أجل تأمين احتياجاتها من اللقاح. حيث تشير البيانات إلى أن ١٤% من سكان العالم قد اشتروا ما يصل إلى ٥٣% من اللقاحات. حتى أن نسبة التطعيم في ٧٠ من الدول ذات الدخل المنخفض ستكون ١٠ % فقط... ورغم عمل مبادرات لمعالجة هذا الخلل مثل COVAX التي عملت على توفير اللقاحات للدول منخفضة الدخل عبر تمويل الدول الغنية ومتوسطة الدخل، فإنها لم تنجح في توفير الكميات المستهدفة وينقصها التمويل"[٥٣].

واقتربنا بشدة من حالة الطبيعة الهوبزية، وحرب الجميع ضد الجميع، "وهو ما تجلى مثلاً في تلك الدول التي وقفت في مواجهة بعضها البعض في السوق العالمية لمعدات الحماية من فيروس كورونا، والاحتجاجات المناهضة للإغلاق الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك تلك التجمعات التي كانت مدججة بالسلاح... يواصل هوبز التقاط جوهر حالة الطبيعة بعبارات مرعبة لا تنسى: وأسوا ما في الأمر هو الخف المستمر، وخطر الموت العنيف، وبقاء الإنسان منعزلاً، فقيرًا، شريرًا، وحشيًا، وذا حياة قصيرة. وعلى الإجمال، لقد غرس فينا فيروس كورونا الخوف؛ الخوف المستمر"[٥٤].

ورغم التشديد في عمليات الإغلاق خاصة مع الموجة الأولى للجائحة، إلا أن البعض يرى انها غير ذات فائدة، وذلك لأسباب متعددة منها ما تذهب إليه سيمون جولد* وآخرين إلى أن عمليات الإغلاق غير مجدية للفيروسات الموسمية مثل كوفيد ١٩، بل أنها تسبب أضرار أكبر بسبب إغلاق الاقتصاد الحياة البشرية، مما يزيد معدلات الفقر، والعزلة الاجتماعية، والأمراض النفسية، وتأخر الوصول للرعاية الصحية، وغير ذلك من آثار سلبية تفوق بشكل كبير الفوائد الناتجة عن الإغلاق، وأوضح دليل على ذلك أن السويد التي لم تقم بأي عمليات

---

[٥٣] عبد المجيد أبو العلا: أزمة كورونا بين النجاة الجماعية والخلاص الفردي، ١٠ يناير ٢٠٢١، الاسترداد في ١٠ يناير ٢٠٢١، في https://bit.ly/3c1ElCC

[٥٤] صلاح عثمان: جائحة كورونا: فلاسفة في العزل، ١٤ مايو ٢٠٢٠، الاسترداد في ٢٠ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3gew41K

* سيمون جولد طبيبة في كلية الطب في شيكاغو وحاصلة على الدكتوراة في القانون من ستانفورد، رئيسة لجنة العمل والموارد البشرية بمجلس الشيوخ الأمريكي، من أهم كتبها :I Do Not Consent My Fight Against Medical Cancel Culture

إغلاق كانت الأفضل بين جيرانها الأوربيين الذين قاموا بعمليات إغلاق كامل في مواجهة الكورونا، سواء في الموجة الأولى أو الثانية. كما أن الغلق الكلي لا يستند لأي سابقة قانونية في الولايات المتحدة، حيث حكمت المحكمة العليا في قضية شيلتون ضد تاكر ١٩٦٠ بأنه ليس من حق الحكومة تقييد الحرية الشخصية بشكل واسع، كما لا توجد سابقة قانونية تجيز حبس المواطنين الأصحاء[٥٥]. كما يرفض آخرون مثل تشومسكي إجراءات العزل من غلق الحدود الخارجية والداخلية وحظر التجول، واستخدام الجيش في تطبيق العزل، لأنه يؤدي من وجهة نظرهم لتدهور الديمقراطية ويشجع الاستبداد[٥٦]. وما أكدته بعض الدراسات من أن النظم الاستبدادية التي فرضت إجراءات تأمين شديدة الصرامة لم تكن أكثر نجاحًا من الدول الديمقراطية التي أدخلت إجراءات إغلاق أقل صرامة، لكنها خفضت نسبة التنقل الجغرافي بنسبة ٢٠% أكثر من الدول ذات النظم الاستبدادية[٥٧]، مما يدل على نجاح العزل فيها بشكل أكبر. ونتوقع في هذا الإطار أن تبدأ خلال فترة بسيطة إجراءات الحد من التنقل لمن لم ينالوا التلقيح باللقاحات المختلفة لفيروس كورونا.

غير أن التاريخ يثبت لنا أن إجراءات العزل الصارمة قد نجحت في الحد من انتشار الأوبئة في العصور السابقة، ففي وباء مارسيليا ١٧٢٠، وفي الوقت الذي فقدت فيه مرسيليا نصف سكانها البالغ عددهم ٩٠ ألف نسمة، وربما توفى خمس سكان المقاطعة. فإن قرية لورماران سلمت، ويرجع المؤرخين ذلك إلى حكومتها البلدية النشيطة، التي شكلت فورًا مكتب للصحة ظل يجتمع ثلاثة أيام أسبوعيًا لمدة ١٨ شهر، تمتع بصلاحيات وسلطات واسعة، حيث أصدر شهادات

---

55 Dr. Simone Gold, MD, JD, FABEM: Lockdowns, in https://www.americasfrontlinedoctors.com/references/#lockdowns,accessed 20 october 2020

٥٦ نعوم تشومسكي: ما بعد كورونا أخطر من الوضع الراهن، ١٣ ابريل ٢٠٢٠، الاسترداد ١٢ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/39t8ive

57 Carl Benedikt Frey, Chinchih Chen, and Giorgio Presidente: Democracy, Culture and Contagion: Political Regimes and Countries Responsiveness to Covid-19, 13 may 2020, accessed 20 june 2020 in https://bit.ly/3g3CocG

(ISSN: 2536 - 9555)

صحية لغير المصابين يعاقب من يسافر بدونها بالحبس ٤٠ يومًا والغرامة، تم إصلاح أسوار المدينة وإغلاق أبوابها يوميًا من المغرب للفجر، أما المرضى فكانوا يتركون في منازلهم ويزودون بالحطب والزيت والقمح والخمر، ثم تغلق جميع نوافذ المنازل وأبوابها لاحتجازهم فيها. وأخضع الوافدون الجدد للمدينة للحجر في مقرات خاصة لمدة ٤٠ يومًا[٥٨]. كما لا يشترط أن يكون الالتزام بإجراءات الحجر مشجعًا للاستبداد أو بسببه، فنجد أن هناك عوامل أخرى قد تكون وراء هذا الالتزام، فعلي سبيل المثال فإن ارتداء المواطنين في هونج كونج للماسكات والالتزام بتعليمات الحجر الصحي لم يكن نتاج استبداد أو ديكتاتورية، وإنما التزاما بالمواطنة الصالحة وبتأثير الكونفوشية، مما أدى لتحقيق نتائج جيدة دون حاجة إغلاق تفرضه الحكومة أو سياسة إلزامية لارتداء الماسكات، بل أنه رغم تصريح رئيسة الوزراء بأنه لا جدوى من ارتداء الماسكات، فإن المواطنين الذين يثقون بخبراء الصحة العامة، تجاهلوا هذه التصريحات وتمسكوا بارتداء الماسكات، وحفاظا على المسافات الاجتماعية، من أجل مصلحتهم الخاصة، ولحماية أسرهم، وعدم التسبب في ازدحام المستشفيات، فالتضامن المجتمعي أكثر قيمة من الحرية الفردية، وهذا يظهر اختلاف روح أهل هيوستن، كما أقر، عن روح الصينيين في هونغ كونغ، الذين لا يزالون يتأثرون بالأخلاق الكونفوشيوسية[٥٩].

يشير العلماء الموقعين على إعلان بارينجتون* إلى أن معدل الوفيات بسبب كوفيد ١٩ يرتفع فقط لدى كبار السن ممن هم أكبر من ٧٠ عامًا، ولو تم

---

[٥٨] جوزيف بيرن: الحياة اليومية في زمن الموت الأسود، ترجمة عمر سعيد الأيوبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط١، ٢٠١٤، ص ٤٣٣

[59] Toni Alimi Elizabeth L. Antus Alda Balthrop-Lewis James F. Childress Shannon Dunn Ronald M. Green Eric Gregory Jennifer A. Herdt Willis Jenkins M. Cathleen Kaveny Vincent W. Lloyd Ping-cheung Lo Jonathan Malesic David Newheiser Irene Oh Aaron Stalnaker: COVID-19 and Religious Ethics, Journal of Religious Ethics, vol 48, issue 3, September 2020, p 355, 356

* صدر الإعلان في أكتوبر ٢٠٢٠ وكتبه Dr. Jay Bhattacharya, Dr. Sunetra Gupta and Dr. Martin Kulldorff وتم التوقيع عليه في المعهد الأمريكي للبحوث الاقتصادية الواقع في

الإغلاق فإنه سيترتب على ذلك آثار متعددة ومدمرة، تشمل انخفاض معدلات تطعيم الأطفال، قلة فحوص السرطان مما يزيده، تدهور الحالة العقلية حيث تثبت الدراسات أن العزلة الاجتماعية الناتجة عن الحظر أدت لارتفاع حاد في تعطي المخدرات، وزيادة الأمراض النفسية، حتى أن واحد من كل أربعة من الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين٢٥: ٤٤ سنة فكر جديًا في الانتحار في يونيو ٢٠٢٠، وزادت نسبة الوفيات لجميع الأسباب مقارنة بنفس الفترة في السنوات الماضية بنسبة ٢٦% رغم أن أقل من ٥ % من الوفيات كانت بسبب كوفيد[٦٠].

يذهب البعض لتأييد الغلق أو رفضه، غير أننا نرى أن المعيار الحقيقي لتفضيل الغلق أو رفضه يرجع لحساب الفوائد والأضرار المترتبة على كل من القرارين والمقارنة بينهما. وبينما يعتمد صنع القرار السياسي على التحيز نحو المستقبل القريب، فالرغبة في تجنب الموت الآن أقوى من الرغبة في تجنب الموت في المستقبل، وبالتالي فالأسهل نفسيًا فرض الإغلاق الشديد الآن لإنقاذ الأرواح المهددة الآن، حتى لو كانت الخسائر في الأرواح ستكون أكبر في المستقبل. وهو قرار خاطئ بالطبع، لأن الإغلاق سيؤدي لوفيات إضافية لأسباب أخرى غير فيروس كورونا، مثل الوفيات بسبب الانكماش الاقتصادي الناتج عن الوباء، فبعد أزمة ٢٠٠٨ تشير التقديرات لإصابة ٢٥٠ ألف حالة

بارينجتون، تمت كتابة الإعلان من منظور عالمي للصحة العامة والإنسانية، مع مخاوف خاصة بشأك تحمل الأطفال والطبقات العاملة والفقراء العبء الأكبر الناتج عن السياسات غير الصحيحة التي تركز على الإغلاق وتتبع الاتصال والعزل، مما سيؤدي لارتفاع معدل الوفيات. انضم للإعلان أكثر من ١٤ ألف من علماء الطب والصحة العامة و ٤٢ ألف من الممارسين الطبيين و ٨٠٠ ألف من المواطنين المعنيين بالموضوع منهم كاتب هذا البحث. يمكن الاطلاع على الإعلان في موقعه:

https://gbdeclaration.org/#read

[60] Jay Bhattacharya, Sunetra Gupta, Martin Kulldorff: Focused Protection: The Middle Ground between Lockdowns and "Let it Rip.", November 25, 2020, in https://gbdeclaration.org/focused-protection/, accessed in December 2020

(ISSN: 2536 - 9555)

بالسرطان أعلى من المعدلات السنوية في دول منظمة الصحة العالمية التعاون الاقتصادي والتنمية[٦١]. لذلك نرى أنه بدلاً من اتخاذ قرارات متسرعة بالإغلاق الكامل يجب حساب النتائج المترتبة عليها، وحساب المكاسب والخسائر الناجمة عنها، وبدلاً من اتخاذ هذه القرارات بما يترتب عليها من أضرار جمة اقتصاديًا واجتماعيًا ونفسيًا، يمكن اتخاذ قرارات بديلة مثل توجيه الاهتمام لكبار السن الذين يواجهون مرضًا مميتًا، سواء في دور الرعاية أو منازلهم أو أماكن العمل، مثل الاختبار المتكرر والحد من تناوب الموظفين في دور رعاية المسنين، وتوصيل البقالة والمستلزمات الطبية للضعفاء الموجودين في المنازل، وتوفير أماكن عمل للمعاقين، والعمال المستضعفين الأكبر سنًا، وتوفير أمكانية الحصول على اللقاحات الفعالة والآمنة بأسرع وقت وهو ما يمكن أن يلق عليه الحماية المركزة. مع رفع عمليات الإغلاق بالنسبة لمن يواجهون ضررًا أقل واستئناف الحياة الطبيعية لهم بشكل فوري، مع اتخاذ إجراءات الوقاية اللازمة[٦٢]. فتفتح المدارس والجامعات للتعليم الحضوري وجهًا لوجه، واستئناف الأنشطة اللامنهجية كالأنشطة المختلفة، وإعادة فتح المطاعم والمؤسسات التجارية[٦٣].

خامساً: القيادة السياسية وقت الأزمات بين الكفاءة والرعونة:

تبرز أهمية القيادة السياسية بشكل أكبر في وقت الأزمات، وتوجد عدة قواعد يجب أن تتصرف على أساسها القيادة الجيدة وقت الوباء هي:

أولاً: يجب أن يتوقع القائد احتياجات شعبه، ويستجيب لها بأساليب قابلة للتنفيذ[٦٤]. مع الالتزام الكامل بالأخلاق، فيجب وضع أولويات رعاية المرضى،

---

61 Julian Savulescu and others: ibid, p 627

62 Jay Bhattacharya, Sunetra Gupta, Martin Kulldorff: ibid

63 Martin Kulldorff, Dr. Sunetra Gupta, Jay Bhattacharya: Great Barrington Declaration, in https://gbdeclaration.org/. October 2020, accessed in 4th November 2020

64 Patricia M. Davidson and others: Moral outrage in COVID19 Understandable but not a strategy, journal of clinical nursing, volume 29, issue 19-20, October 2020, p 3601

والاحترام المهني، وأخلاقيات العمل ، والصداقات، والتماسك الاجتماعي في الاعتبار عند اتخاذ القرارات المختلفة. وعدم السماح أو التسبب في إتلافها بحجة مكافحة جائحة COVID-19 فذلك أمر مضلل. سيمر كوفيد -١٩ ، لكن من غير المرجح أن يتعافى أي ضرر للمعتقدات الأخلاقية الراسخة[٦٥].

ويجب على الحكام إدراك أنه في الفترات الأولى للإغلاق يعتمد نجاحه على عملية طوعية من المواطنين تنتج عن اقتناعهم بما يقدمه لهم نظام الحكم، وذلك لأن الأفراد يزيد تضامنهم في مواجهة التهديدات الخارجية المشتركة مثل الحروب أو الكوارث الطبيعية مثل الجائحة، ويدعم هذا التضامن ثقتهم في مؤسسات الدولة. ربما بسبب الحاجة المشتركة لمواجهة المخاطر. مع مراعاة أن هذه الثقة قد تتراجع إذا لم تقدم الحكومة ما يدعم استمرارها[٦٦]. وقد يصل انعدام الثقة لعدم تصديق البيانات الرسمية المتعلقة بأعداد المصابين، والنظر إليها باعتبارها بيانات سياسية بامتياز وليست بيانات طبية، ويزداد عدم الثقة فيشمل شك الأفراد في إصابة بعضهم البعض، ومحاولة تجنب الآخر، ويزيد ليصل للخوف من أن يكون الشخص قد أصيب في تعاملاته اليومية، وعدم إمكانية الوقاية الكاملة[٦٧]، مما يخلق حالة من الفزع العام والخاص.

---

65 Georgiades, Christos: Leadership Lessons From Prior Pandemics : Turning the Coronavirus Disease 2019 (COVID-19) Pandemic Into an Opportunity. In: Journal of the American College of Radiology. 2020 ; Vol. 17, No. 7. pp. 907-908

66 Chris G. Sibley email the author, Lara M. Greaves, Nicole Satherley, Marc S. Wilson, Nickola C. Overall, Carol H. J. Lee, Petar Milojev, Joseph Bulbulia, Danny Osborne, Taciano L. Milfont, Carla A. Houkamau, Isabelle M. Duck, Raine Vickers-Jones, Fiona Kate Barlow: Effects of the COVID-19 Pandemic and Nationwide Lockdown on Trust, Attitudes Toward Government, and Well-Being, American Psychological Association, Volume 75, Issue 5 (Jul-Aug) 2020, p 619

٦٧ صلاح عثمان: أزمة ثقة، ١٨-٨-٢٠٢٠، الاسترداد ٢٠-٨-٢٠٢٠، في https://bit.ly/3sofTl3

(ISSN: 2536 - 9555)

ثانيًا: يجب أن يتعامل القائد بتعاطف مع المرضى والأسر، والعاملين في مجال الرعاية الصحية في الخطوط الأمامية، الذين يتعرضون للخطر بدرجة أكبر[٦٨]. ومن الأمثلة الإيجابية لذلك السلوك ما قام به تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية، حيث بث الثقة بالنفس، الحماس، الحزم، وبنفس القدر من الأهمية لم يدع تشرشل الفضل لنفسه، بل أثنى على الذين يقاتلون في الصفوف الأمامية، وتسامح تجاه زلات الآخرين في هذه الظروف العصيبة[٦٩]. لذلك فالشفافية والمصارحة أسس هامة في هذه الأوقات، خاصة في البلدان التي تكون مراقبة المواطنين فيها محدودة، حيث يعتمد نجاح الإغلاق على سلوك طوعي من المواطنين، وبالتالي يحتاج الأفراد والمجتمعات إلى الثقة والالتزام بنصائح العلماء والسياسيين ورجال القانون، وفي الوقت ذاته تجاهل المعلومات المضللة، خاصة أن الرضا عن الحكومة والمجتمع قد يزداد في المراحل المبكرة للجائحة والإغلاق، أما بعد ذلك فإن التداعيات الاقتصادية لكليهما مثل البطالة والركود، قد يقلل من الرضا عن الأعمال التجارية الوطنية والظروف الاقتصادية، وبالتالي يجب تفادي هذه الآثار السلبية بالشفافية والمصارحة الكاملة بحقيقة الأوضاع[٧٠].

ثالثًا: يجب على القائد عدم تسييس الوباء سواء لمصلحته الشخصية أو لمصلحة حزبه أو التيار السياسي الذي ينتمي إليه. بل عليه تلافي الانقسامات، وتوحيد البلاد لمكافحة الوباء[٧١]. وأن يدلي بالمعلومات المتوافرة بشفافية حتى يبني

---

68 Patricia M. Davidson and others: ibid, p 3601

69 Georgiades, Christosibid. P 907

70 Sibley, CG., Greaves, LG., Satherley, N, Wilson, M.S., Overall, N.C., Lee, C.H.J., Milojev, P., Bulbulia, J., Osborne, D., Milfont, T.L., Houkamau, C.A., Duck., I.M., Vickers-Jones, R.& Barlow, F.K. (in press). Effects of the COVID-19 pandemic and nationwide lockdown on trust, attitudes towards government, and wellbeing. American Psychologist. 10.1037/amp0000662, p 5.6

71 Patricia M. Davidson and others: Moral outrage in COVID19—Understandable but not a strategy, journal of clinical nursing, volume 29, issue 19-20, October 2020, p 3601

ويزيد جسور الثقة مع الشعب، عكس ما يجري حاليًا، فالسياسيين يعلنون عن تدابير بشكل مستمر، ويبدون في حالة من الهلع، دون أن يقدموا إجابات عن الأسئلة المنطقية للإجراءات الصارمة التي يتخذونها، والتي تزيد من الضرر الواقع على العمال وأسرهم، مما يعمق حالة عدم الثقة تجاه الحكومات، خاصة مع عدم وضوح الرؤية حول نهاية كل ما يجري[٧٢].

رابعًا: على القيادة الجيدة اجتناب القيام بسلوكيات خاطئة وإصدار قرارات سيئة، أو نشر معلومات خاطئة كاذبة، مثلما فعل ريتشارد الثاني ملك انجلترا في وباء ١٦٦٥، حين ادعى أن تبخير المنازل يشفي من الوباء، أو كما فعل الرئيس ترامب حين أصدر تصريحات طائشة بأن أدوية الملاريا تعالج الكورونا، متجاهلاً الآثار الجانبية الخطيرة خاصة للقلب[٧٣].

خامسًا: على الحكام تجنب المسلك المعتاد من إنكار الأوبئة دائمًا، وهو ما حدث مع بدء انتشار الطاعون في مارسيليا في يوليو ١٧٢٠، حين رفض المسؤولون في الحكومة والصحافة، وحتى الأطباء، الاعتراف بأن المرض الذي انتشر بسرعة هو الطاعون، واستمرت السلطات في الإصرار في الملصقات والمطبوعات العامة على أن الطاعون مجرد حمى خبيثة. الأمر ذاته تكرر في روسيا في ١٧٧١ حين بلغت الوفيات ٤ آلاف شخص في كييف، وأنكر المسؤولون والصحافة في موسكو الإقرار بوجود وباء الطاعون في روسيا، واستمر المسؤولون في الإنكار، حتى سادت الفوضى، وارتفعت الأسعار، وأغلقت المستشفيات، وساد السلب والنهب حتى تم اقتحام البطريركية والأديرة ونهبها، وتم اقتحام الحجر الصحي والإفراج عن المحجوزين فيها بعد ترويج الإشاعات عن قتلهم بواسطة الأطباء، وفي النهاية هربت نخبة موسكو بمن فيها من مسؤولين حكوميين وتركوا ممتلكاتهم في حراسة العبيد، بينما تراكمت الجثث، وامتلأت

---

[72] Udo Schuklenk: COVID19: Why justice and transparency in hospital triage policies are paramount, Bioethics, Volume 34, Issue 4, may 2020, p 326

[73] Larry Dossey: Threats from the coronavirus, lessons from the plague, Explore (NY). Jul–Aug 2020;16(4): p204

(ISSN: 2536 - 9555)

المقابر، وأصبحت الوفيات اليومية بالمئات.[٧٤]. وهو ذات ما فعلته الحكومة الفيدرالية البرازيلية حين لم تتخذ تدابير على المستوى الوطني، وتجاهلت توصيات وزير الصحة، بل دعى الرئيس بولسونارو إلى مظاهرات حاشدة في جميع أنحاد البلاد ضد الكونجرس والمحكمة الفيدرالية العليا خصومه السياسيين، في المقابل استخدام الرئيس المكسيكي الجائحة باعتبار التحذيرات منها استراتيجية من استراتيجيات المعارضة لزعزعة استقرار نظام حكمه، ودعا لمخالفة إجراءات التباعد الاجتماعي، وفي نيكاراجوا دعا الرئيس نورييجا إلى إظهار الحب، ودعا الناس للتجمع والعناق في الشوارع[٧٥]. وأسفرت هذه السياسات عن انتشار الفيروس بشكل كبير، ووقوع مئات الآلاف من الإصابات والوفيات، بلغت في البرازيل وحدها أكثر من ٢٠٠ ألف شخص، وقام حكام الولايات في البرازيل بحظر التجول الكامل، فقام الرئيس بصرف إعانات بطالة طارئة على مدى ٩ أشهر إلى ٦٨ مليون مواطن، أي ما يقرب من ثلث السكان، دون وجود إيرادات حقيقية تغطي هذه النفقات الضخمة، مما أدى في النهاية إلى إعلان البرازيل إفلاسها في يناير ٢٠٢١. ورفض وزير الصحة في إندونيسيا الاستجابة لدعوات الخبراء بفرض الحظر في البلاد، ووجه الرسائل المتكررة للشعب بإقامة الصلاة كسبيل للحماية من الإصابة بالفيروس، وأصر دون دليل علمي على أن المتعافين من المرض لا خوف منهم أو عليهم، وأكد نائب وزير الصحة الإيراني، أن الفيروس تحت السيطرة، والحجر الصحي ينتمي إلى العصر الحجري، ونقل في اليوم التالي إلى الحجر الصحي مصابًا بالمرض، لكن بعد أن شجع على إقامة انتخابات برلمانية شديدة الإقبال، مما أدى إلى انهيار النظام الصحي، وهو نفس مسلك رئيس تركمانستان، ووزير العلوم والتكنولوجيا في كولومبيا، والهند... الخ.[٧٦]

سادسًا: اتخاذ القرارات السليمة حتى لو واجهت انتقادات: فأحد التحيزات النفسية التي تسيطر على الحكومات هي الخوف من الخسارة، لذلك علينا عند

---

[٧٤] جوزيف بيرن: مرجع سابق، ص ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٣٨

[75] Sergio G. Litewka Elizabeth Heitman, ibid, p 69, 70

[٧٦] صلاح عثمان: رسالة كورونا عزف على الوتر المشدود بين العلم والسياسة، ٢١ ابريل ٢٠٢٠، الاسترداد ٢٠ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3dkM40s

عرض سياسة ما وتقييمها، أن نركز على الإيجابيات بدلاً من السلبيات. لأنه في كل الأحوال ستتعرض الحكومات لانتقادات أيًا كانت قراراتها. فالحكومات في شرق آسيا تقيد الحرية بشكل جذري لحماية الصحة والأمن، فتتعرض لانتقادات لكونها سلطوية بشكل مفرط بينما الحكومات الليبرالية مثل المملكة المتحدة واستراليا تحمي الحرية ولذلك تتعرض لمخاطر أكبر للإصابة، فتتعرض للانتقادات لفشلها في حماية الصحة العامة الضعيفة والآمنة، في كل الأحوال لا يوجد رابح في محكمة الرأي العام[٧٧]. لذلك على الحكومات اتخاذ القرارات التي تراها في الصالح العامة حتى لو تعرضت لانتقادات.

وعلى القيادة الجيدة الانتباه لخمسة تحديات تواجهها في وقت الجائحة مثل كوفيد ١٩ هي اكتشاف المشكلات المستجدة في أوقات سريعة التغير، إدراك التهديدات الديناميكية في ظل معلومات محدودة، اتخاذ قرارات كثيرة متعلقة بالحياة والموت، التنسيق الاستراتيجي بين التطلعات والإمكانيات، إبقاء الجمهور على معرفة بالمعلومات الضرورية واللازمة[٧٨]، وذلك لمعرفة أسباب اتخاذ القرارات المختلفة وبالتالي ضمان استجابتهم، ومساعدتهم للقيادة في قراراتها. كما يجب على القيادة تجنب مركزية القيادة، وترك الصلاحية للقيادات الوسيطة لاتخاذ القرارات التي تراها مناسبة في ضوء الواقع المعيش، وتجنب كثرة التعليمات والأوامر من مصادر إدارية متعددة حيث يؤدي ذلك عادةً إلى التشتيت، وفقدان الثقة في الإدارة، واقتصار التعليمات على المستجدات التي لم تكن موجودة، وتوضيح ما يجب اتخاذه حيالها بشكل واضح لا يقبل اللبس، وتجنب الثناء غير اللائق أو لمجموعات أو أشخاص بعينهم، مما قد يعطي انطباعًا للآخرين على الخوط الأمامية أنه تجاهل من الإدارة لتضحياتهم، ونسبة الانجازات إلى كل من شارك فيها. مع الحد من الإجراءات العقابية على أن تكون حاسمة في حالة الاضطرار إلى اتخاذها، وان تكون موجهة لمن يتسبب في إعاقة جهود الإنقاذ[٧٩].

كما على المسئولين التوقف عن إخبار الناس بأن الوباء سينتهي قريبًا، وإعداد رعاياهم فترة اطول من الجائحة، وبرغم تعدد السيناريوهات المتوقعة

---

77 Julian Savulescu and others: ibid, p 630

78 Patricia M. Davidson and others: ibid, p 3601

79 Georgiades, Christos, ibid, p 908

(ISSN: 2536 - 9555)

للجائحة، فإن السيناريو المرجح بعد الموجة الأولى للفيروس كما توقع البعض، هو حدوث موجة أكبر في الخريف أو الشتاء، يليه موجات أصغر خلال سنة ٢٠٢١، وهو السيناريو الذي يتطلب إعادة اتخاذ تدابير العزل في الخريف على أمل انخفاض انتشار العدوى ومنع انهيار نظم الرعاية الصحية، في سيناريو مشابه لما حدث مع جائحة الأنفلونزا الإسبانية خلال عامي ١٩١٨: ١٩١٩[٨٠]

على المستوى المحلي يذهب بهاء درويش إلى أن معالجة الحكومة المصرية لأزمة كورونا تأسست على مبادئ أخلاقية، حيث تم غلق كل أماكن التجمعات التي يمكن أن تسبب عدوى وبائية، فأغلقت المدارس والجامعات في منتصف مارس، مع تعميم التعليم الالكتروني من خلال المنصات التعليمية، وتعميم التقييم عن طريق الأبحاث في الصفوف الدراسية الخاصة بالنقل على مستوى التعليم العام والجامعي، مع إجراء امتحانات لطلاب الثانوية العامة والفرقة النهائية بالجامعات، كما تم إغلاق دور العبادة انطلاقًا من مبدأ أن حماية النفس لها أولوية، كما تم إغلاق أماكن التجمع الترفيهية والثقافية، وتوفير مستشفيات للعزل ومعامل للتحاليل، وحظر التجول تم تخفيفه بالتدريج، وقيام وسائل الإعلام بالتوعية. على جانب آخر وتطبيقًا للشفافية تكرر ظهور رئيس الوزراء والمسئولين في وسائل الإعلام لشرح مبررات قرارات الحكومة الخاصة بالحظر أو غلق الأماكن المختلفة، وتم إنشاء موقع الكتروني لبث المعلومات بشكل محدث باستمرار، وكذلك وزارة الصحة ودار الإفتاء[٨١]. غير أن كل هذه الإجراءات قابلها على أرض الواقع لا مبالاة من الأغلبية، حيث خسرنا الرهان على الوعي والالتزام، ذلك أن الوعي يرتبط بعوامل اقتصادية واجتماعية ومعرفية وثقافية وجغرافية، فلم تعترف الطبقات الدنيا في بداية الأزمة بالفيروس، وظهر تمايز داخل المجتمعات في مستوى إدراك خطورة الفيروس، ومستوي الالتزام بالإجراءات

[٨٠] مايك اوسترهولم: كورونا: البؤس الوبائي والوعد المؤجل بمناعة القطيع!، ترجمة د صلاح عثمان، في ٧ مايو ٢٠٢٠ استرداد في يونيو ٢٠٢٠ في https://bit.ly/3wTaiXr

[٨١] بهاء درويش: معالجة الحكومة المصرية لأزمة كورونا تأسست على مبادئ أخلاقية في ٢٦ يوليو ٢٠٠٢، الاسترداد في أغسطس ٢٠٢٠ في https://bit.ly/3mIGW9o

الوقائية المختلفة[٨٢]. فلم يلتزم غالبية المواطنين بإجراءات التباعد، أو ارتداء الكمامات، وساد الجهل بالفيروس وكيفية انتقاله رغم كل الجهود السابقة، وسادت سلوكيات متضاربة بشكل كبير، ففي الوقت الذي يتم فيه الإشادة بالقطاع الطبي، يقوم البعض بطرد الأطباء من الشقق المؤجرة لهم خوفًا من نقلهم للعدوى، وفي الوقت الذي يحمل فيه الموت مهابة كبيرة لدى المصريين، وتأكيد وزارة الصحة على عدم انتقاله من الموتى، وتخصيص فرق طبية مدربة من العزل للقيام بعملية نقل ودفن الموتى بكورونا، يقوم بعض الأهالى بمنع دفن المتوفين بكورونا، بل ويصطدم بعضهم بالشرطة التي تدخلت لإتمام عملية الدفن. وانتشار نظرية المؤامرة في كافة الأوساط.

سادساً: كورونا ونظرية المؤامرة: نحو يقظة الوعي:

تنتشر نظرية المؤامرة في أوقات الأزمات الكبرى، وبالطبع كان لها نصيب كبير من الانتشار في ظل جائحة كورونا، ويرجع صلاح عثمان سبب انتشار نظرية المؤامرة بشكل أساسي إلى عدم الثقة في السياسيين والاقتصاديين، وحتى بعض العلماء، ممن يتصدرون المشهد في كل أزمة، ولا يقدمون تفسيرًا مقنعًا، مما يدفع الناس لتصديق أن هناك من يديرون العالم من الغرف المغلقة لتحقيق أكبر قدر من المكاسب والهيمنة على العالم. ويقف عثمان موقفًا وسطًا ما بين رفض الخضوع التام لنظرية المؤامرة مما يمثل استلابًا مرضيًا، وما بين اعتبار استبعادها بلادة عقلية تؤدي للهلاك[٨٣].

ويقدم البعض أدلة على رفض نظرية المؤامرة فيما يتعلق بأزمة كورونا، منها أن الكورونا هو نتاج طفرات فيروسية طبيعية، وانتقل من الخفافيش للإنسان، وليس نتاج معامل بكتريولوجية أمريكية نقلتها للصين لكبح تطورها، مما دفع الصين بعد تعافيها نسبيًا من الصدمة إلى شن هجوم مضاد على أوروبا وأمريكا. وأن دول أوروبا تعمدت عبر التباطؤ نشر الفيروس ين شعوبها للتخلص من الفئة

---

[٨٢] عبد المجيد أبو العلا: مرجع سابق، في https://bit.ly/3c1ElCC

[٨٣] صلاح عثمان: بروفيسور «مونتاناري»: الجنون الرأسمالي، والكذبة الكُبرى التي ابتلعناها جميعًا!، ابريل ٢٠٢٠، استرداد يونيو ٢٠٢٠ في https://bit.ly/3sjCvTV

(ISSN: 2536 - 9555)

الشائخة من السكان، التي تمثل عبئًا اقتصاديًا واجتماعيًا كبيرًا عليها مع ارتفاع معدل الأعمار في الدول الأوروبية، وهي كلها ادعاءات لا يوجد دليل عليها[٨٤]. ويؤيد ذلك الاتجاه ٧٤ أكاديمي اتهموا شبكة فوكس نيوز بانتهاك اخلاقيات الإعلام، وتقديم تقارير تتضمن معلومات مضللة، وإخفاء الأبعاد الحقيقية للأزمة.

في المقابل فإننا نرى أن هناك كثيرًا من الأدلة على وجود نظرية المؤامرة، سواء في كيفية وجود الفيروس، أو انتشاره، أو الإجراءات التي اتبعت لمواجهته. فمن ناحية يوجد لدينا شك كبير بخصوص نسب الوفيات التي تم إعلانها، ففي إيطاليا وهي أحد أكبر الدول في أعداد الوفيات صرح أحد أعضاء البرلمان الإيطالي بأن الاحصائيات التي تزعم وفاة ٢٥ ألف إيطالي بالكورونا حتى مايو ٢٠٢٠ غير صحيحة، ذلك أن الهيئة الصحية العليا تؤكد أنه مات ٩٦.٣% بأسباب أخرى للوفاة، وأن الادعاء بأن الوفيات بسبب كورونا ما هو إلا وسيلة لترويع الايطاليين وتكريس الديكتاتورية. كما بين مستشار وزير الصحي الإيطالي أن الاحصائيات أن الوفيات الناجمة عن كورونا مباشرة في حدود ١٢% فقط من الوفيات، بينما بقية الوفيات ترجع لأمراض أخرى[٨٥]. وهو ما يتكرر في الولايات المتحدة صاحبة أكبر عدد وفيات على مستوى العالم، حيث صرحت د إزيكي مسئولة إدارة الصحة العامة، و جي بي ويتكز حاكمة إلينوي في إحاطة إعلامية بأن تعريف المريض المتوفي بكورونا هو أن يكون الشخص إيجابي للاختبار وقت الوفاة، حتى لو حدثت الوفاة بسبب آخر من أسباب الوفاة، وبالتالي فكل حالة مسجلة وفيات من الكورونا لا يعني ذلك أن الكورونا سبب الوفاة، ولكن أن المتوفي كان لديه كورونا وقت الوفاة[٨٦]. لذلك يذهب د فيرنون كوليمان* إلى أنه

---

[٨٤] لؤي عبد الفتاح: وباء كورونا: خطر حال وخلفيات تآمرية، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠، ص ص ٨٣٥

[85] https://www.youtube.com/watch?v=EewEYrPpMbA

[86]https://www.youtube.com/watch?v=cauyuRFYczM&fbclid=IwAR1j2qx6Hiw9jkqdtB8nZ_kpg3SLzqlhGOP_IiM_9kdgBHqdFhyR4hYHds0

من الواضح أن الحكومات في جميع أنحاء العالم وكذلك المنظمات تعاني من هستيريا جماعية، وهذا أمر ليس بجديد، فقد اعتادت الحكومات على خلق مخاوف لا داعي لها، دون أن ينفي ذلك أن المرض الناجم عن فيروس كورونا يمكن أن يكن خطيرًا، لكن من المؤكد أن هناك ممن قيل أنهم ماتوا بسبب فيروس كورونا قد ماتوا في الحقيقة بسبب الانفلونزا العادية، بل يرى فيرنون أن عدد البريطانيين الذين ماتوا بالأنفلونزا العادية بلغ مائة مرة من ماتوا بسبب فيروس كورونا[٨٧].

ومما يزيد من انتشار نظرية المؤامرة انتشار الفيروس بشدة في أماكن بعينها بشكل حقيقي، حيث ينتشر في العديد من دول الشرق الأسط غير المستعدة للتعامل مع الأزمات الصحية، فينتشر بين ملايين الأشخاص الذين لا يشعر بهم العالم في المناطق المتأثرة بالحرب ويزيد فيها اللاجئون مثل سوريا والعراق واليمن، حيث تواجه المنطقة تحديات عديدة منها حماية اللاجئين الأكثر عرضة لتفشي الوباء لأسباب عدة منها حياتهم في مناطق ذات كثافة سكانية عالية مثل المخيمات، وأوضاعهم الاقتصادية غير المستقرة، ومعاناة المخيمات من نقص حاد في المياه والصرف الصحي والبنية التحتية، وضعف النظم الصحية والبنية التحتية، وكلها عوامل تساعد على انتشار الأوبئة انتشار النار في الهشيم. كما تزيد الإصابات والوفيات بين السود في أمريكا، فرغم أنهم يمثلون ٢٦% فقط من سكن ميلووكي إلا أنهم يمثلون ٨١% من الوفيات الناتجة عن كوفيد ١٩، وفي

---

* د فيرنون كوليمان ١٩٤٦ – طبيب انجليزي، فرضت عليه غرامة في ١٩٨١ لرفضه كتابة تشخيص على الحالات المرضية لاعتباره ذلك انتهاكًا لخصوصية المريض، تنازل عن رخصة ممارسة الطب في ٢٠١٦، تم تعيينه أستاذًا فخريًا من قبل الجامعة الدولية المفتوحة في سيريلانكا، له عدة كتب تركز على نظرية المؤامرة، حيث اته وزارة الصحة بالخضوع لشركات الأدوية، ورفض الاعتراف بمرض الإيدز، ويرفض التلقيح ضد العديد من الأمراض، من أهم كتبه Anyone Who Tells You Vaccines Are Safe And Effective Is Lying, Do Doctors And Nurses Kill More People Than Cancer؟

87 Vernon Coleman: Coronavirus – the Madness of Governments, http://www.vernoncoleman.com/main.htm, 14 march 2020, accessed 1 may 2020

(ISSN: 2536 - 9555)

لويزيانا تصل نسبة الوفيات بينهم إلى٥٦ % رغم أنهم يشكلون ٣٢% فقط من السكان. ونفس النسب في كثير من الولايات في المناطق التي يعيش فيها اللاتين والمهاجرين والسود. وتزيد نسبة الوفيات في السجون ولدى الشردين الذين يعانون من أمراض مزمنة كثيرة مثل السرطان، والتباعد الاجتماعي بينهم يكاد يكون مستحيلاً حيث يعملون في العمالة الأساسية بمجال الرعاية الصحية وعمال التوصيل، والملاجئ مكتظة ومقرات لنقل فيروس كوفيد ١٩[٨٨].

خاتمة

من المؤكد أن جائحة كورونا قد غيرت العالم، فعالم ما بعد كورونا لن يكون مثل عالم ما قبلها، غيرت الجائحة "الطريقة التي نرى بها العالم، والطرق التي نفكر بها، وكيف ندير حياتنا. على الرغم من المأساة الإنسانية المتمثلة في الأرواح المفقودة، والأسر المفككة، والمجتمعات المتضررة، فإن التغييرات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الإغلاق الناجم عن الوباء ستشكل إرثًا ثقافيًا سيعيش طويلاً في ذكرياتنا وذكريات الأجيال القادمة الألم شخصي وعاطفي ونفسي ومجتمعي واقتصادي وثقافي. وسوف تترك ندوب. في كثير من النواحي"[٨٩]. والدرس الهام الذي قدمته كورونا للغرب ألا يبالغ في تقدير المستوى الحضاري الذي وصل إليه، وللبشرية أنه مهما بلغت قوة الانسان فإنه في النهاية خلق من ضعف يتساوى فيه الجميع أمام مرض يسببه فيروس لا يرى[٩٠].

---

[88] John H. Farley and others: Promoting health equity in the era of COVID-19, Gynecologic Oncology, 2020-07-01, Volume 158, Issue 1, Page 26: 28

[89] Hongwei Hea,٠, Lloyd Harris: The impact of Covid-19 pandemic on corporate social responsibility and marketing Journal of Business Research, vol 116, may 2020, p 176

[٩٠] صلاح عثمان: درس كورونا للدول المتقدمة والنامية، ابريل ٢٠٢٠، اطلاع في اكتوبر ٢٠٢٠ في https://bit.ly/3mOPV94

النتائج والتوصيات:

١- فشلت المنظمات الدولية مثل منظمة الصحة العالمية والأمم المتحدة في القيام بدورها في مواجهة الجائحة، كما لم تكن المنظمات الإقليمية مثل الاتحاد الأوروبي، وجامعة الدول العربية أحسن حالاً في التصدي للجائحة.

٢- تسبب فشل النظام العالمي والحكومات الوطنية في بداية الجائحة في زيادة سطوع التيارات القومية الشعبوية، واجتذاب كثير من الأصوات لصالحها.

٣- ضرورة التعاون الدولي في مواجهة الأوبئة، وتوجيه المزيد من الاهتمام للتعاون في المجال الصحي، وإجبار الدول على التعاون في إطار آلية مشتركة موحدة وملزمة.

٤- برغم فشل معظم دول العالم على اختلاف نظمها السياسية في التغلب على الوباء، إلا أن النظم المختلفة ادعت نجاحها، وفشل النظم الأخرى.

٥- لم تتوقف رقابة المواطنين وقت الجائحة على النظم الاستبدادية، بل ظهرت في الدول الديمقراطية بنفس الدرجة. وذلك في نموذج واضح لإعلاء الصالح العام على الصالح الخاص، وحقوق الجماعة على حقوق الأفراد.

٦- تبادل الصين والولايات المتحدة الاتهامات بشأن مصدر فيروس كوفيد ١٩ لم يصل لنتيجة، وإن كان قد أسفر عن الإضرار بكلا البلدين وبمواطنيهما، وببقية دول العالم.

٧- أدى الغلق سواء كلي أو جزئي لمعظم دول العالم للحد من انتشار الفيروس، لكنه على الجانب الآخر ترتب عليه أضرار أكبر خاصة من الناحية الاقتصادية، مما أدى في النهاية لسقوط وفيات لأسباب أخرى ترتبت على الحجر، أكثر مما كان سيقع بسبب الفيروس في حالة عدم الغلق.

٨- أظهرت الجائحة أن الإنسان والمجتمعات عند الصدمة الأولى تعود إلى حالة الطبيعة الهوبزية، حيث يصبح الإنسان عدو أخيه الإنسان، ويحدث الصراع على الموارد المتاحة حتى لو لم يكن في حاجة ملحة لها، ويستمر بعض الأفراد في الحالة النقية للإنسانية وتسود لديهم روح التعاون وإيثار الغير. وبعد تجاوز الصدمة الأولى تستعيد المجتمعات توازنها لتعود لحالة المجتمع المدني والتعاون

(ISSN: 2536 - 9555)

بين المجتمعات.

٩- يجب على القيادة السياسية قراءة دروس التاريخ للتعلم منها، فالأخطاء التي وقعت في الأوبئة السابقة، تكرر الكثير منها في جائحة كورونا، مما يدل على أننا لا نقرأ التاريخ، ومن يقرؤونه لا يتم الإنصات لهم، رغم أن ذلك يوفر الكثير من الجهد والوقت والمال، والأهم ينقذ الكثير من الأرواح.

١٠- نتوقع في المستقبل الآني فرض حظر تنقل بين الدول على من لم يتناولوا التلقيحات المختلفة ضد فيروس كورونا، وربما يمتد الأمر لمنع الحصول على كثير من الخدمات لمن لم يحصلوا عليها، بحيث يصبح الحصول على اللقاح أداة للتمييز بين البشر.

المراجع باللغة العربية

١. أحمد عاطف عبد الرحمن: كورونا عولمة الداء والبلاء، مجلة المال والتجارة، نادي التجارة، ع ٦١٢، إبريل ٢٠٢٠

٢. أحمد فايز الهرش: أزمة الإغلاق الكبير: الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، جامعة زيان عاشور بالجلفة، مج ٢، ع٢، ٢٠٢٠

٣. إدريس المرزكيوي: القانون الدولي للكوارث والأزمات الصحية، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠

٤. آلان تورين: فيروس كورونا جعلنا نعيش اللاّمعنى في بيوتنا.. وستكون هناك كوارث أخرى. في ٦ إبريل ٢٠٢٠، الاطلاع ١٢ إبريل ٢٠٢٠ في https://bit.ly/32gxoZW

٥. بهاء درويش، و د وفاء عبد العال يكتبان عن أخلاقيات التعامل مع الوباء. مايو ٢٠٢٠، استرداد مايو ٢٠٢٠، https://bit.ly/3uZHFpT

٦. بهاء درويش: معالجة الحكومة المصرية لأزمة كورونا تأسست على مبادئ أخلاقية في ٢٦ يوليو ٢٠٠٢، الاسترداد في أغسطس ٢٠٢٠ في https://bit.ly/3mIGW9o

٧. جوزيف بيرن: الحياة اليومية في زمن الموت الأسود، ترجمة عمر سعيد الأيوبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط١، ٢٠١٤

٨. حاجة وافي: الإرهاب البيولوجي وتداعياته على النظام الدولي: أزمة جائحة فيروس كورونا

المستجد نموذجًا، مجلة الندوة للدراسات القانونية، ع ٣٢، إبريل ٢٠٢٠
٩. خديجة بن قطاط: المجتمع الدولي في مواجهة الأوبئة والجوائح، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، مج ٢، ع ٣، يوليو ٢٠٢٠
١٠. رشيد أمشنوك: كورونا وأزمة الإنسان المعاصر: في الحاجة إلى أخلاق كوكبية، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، مج ٤٣، ع ٤٩٩، سبتمبر ٢٠٢٠، ص ١١٢،
١١. سلام الكواكبي: جائحة كونية وعلاقات دولية بين الثنائية والمتعددة: ما هو خيار المستقبل؟، شئون عربية، جامعة الدول العربية – الأمانة العامة، ع ١٨٢، صيف ٢٠٢٠
١٢. سمير عمر: مصر.. الجيش يرسل طائرتين محملتين بالمستلزمات الطبية لإيطاليا، سكاي نيوز عربية، ٤ إبريل ٢٠٢٠، الاسترداد في ٥ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3eleYOR
١٣. صلاح سالم: الأسئلة الكبرى للوباء الكوني، شؤون عربية، جامعة الدول العربية– الأمانة العامة، ع ٨٢، صيف ٢٠٢٠
١٤. صلاح عثمان: رسالة كورونا عزف على الوتر المشدود بين العلم والسياسة، ٢١ ابريل ٢٠٢٠، الاسترداد ٢٠ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3dkM40s
١٥. صلاح عثمان: أزمة ثقة، ١٨–٨–٢٠٢٠، الاسترداد ٢٠–٨–٢٠٢٠، في https://bit.ly/3sofTl3
١٦. صلاح عثمان: بروفيسور «مونتاناري»: الجنون الرأسمالي، والكذبة الكُبرى التي ابتلعناها جميعًا!، ابريل ٢٠٢٠، استرداد يونيو ٢٠٢٠ في https://bit.ly/3sjCvTV
١٧. صلاح عثمان: جائحة كورونا والعولمة العارية، ٦ ابريل ٢٠٢٠، الاسترداد في ٢٠ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3dm5lyl
١٨. صلاح عثمان: جائحة كورونا: فلاسفة في العزل، ١٤ مايو ٢٠٢٠، الاسترداد في ٢٠ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3gew41K
١٩. صلاح عثمان: درس كورونا للدول المتقدمة والنامية، ابريل ٢٠٢٠، اطلاع في اكتوبر ٢٠٢٠ في https://bit.ly/3mOPV94
٢٠. صلاح عثمان: رسالة كورونا عزف على الوتر المشدود بين العلم والسياسة، ٢١ ابريل ٢٠٢٠، الاسترداد ٢٠ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3dkM40s
٢١. صلاح عثمان: كورونا... زحف الديكتاتورية الأنيقة، ٢ ابريل ٢٠٢٠، استرداد ٢٠ ابريل ٢٠٢٠، في https://bit.ly/3gb7Oh7
٢٢. صلاح عثمان: لي وينليانغ Li Wenliang ... البطل الذي أفشى الحقيقة، ٢٧ مارس ٢٠٢٠، الاسترداد في اكتوبر ٢٠٢٠ في https://bit.ly/2RjOWlD

(ISSN: 2536 - 9555)

٢٣. صلاح عثمان: مزرعة البشر... أزمة كورونا من السيمياء إلى عصر العبيد الرقمي، ٥ أكتوبر ٢٠٢٠، الاسترداد في ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٠، في https://bit.ly/2Q7ckm3
٢٤. عائشة بو عشيبة: سياسات الاتحاد الأوربي في مواجهة أزمة كورونا: بين الوحدة الأوروبية وأنانية الدول، مجلة الندوة للدراسات القانونية، ع٣٢، إبريل ٢٠٢٠
٢٥. عبد الإله بلقزيز: ملامح لعالم ما بعد كورونا، مجلة المستقبل العربي، ع ٥٠١
٢٦. عبد المجيد أبو العلا: أزمة كورونا بين النجاة الجماعية والخلاص الفردي، ١٠ يناير ٢٠٢١، الاسترداد في ١٠ يناير ٢٠٢١، في https://bit.ly/3c1ElCC
٢٧. عثمان الزياني: المراقبة الرقمية في زمن جائحة كورونا، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠، ص ٥١٩، ٥٢٠
٢٨. على الإدريسي: العالم بعد فيروس كورونا: تأملات واحتمالات، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠
٢٩. على الحاج حسن: التحولات القيمية في ظل وباء كورونا: رصد تحليل نقدي لراهن العالم ومستقبله المنظور، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية– مكتب بيروت، صيف ٢٠٢٠
٣٠. لونا أبو سويرح: العرب وكورونا: إدارة أزمة أم أزمة إدارة ؟، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٩٦
٣١. لؤي عبد الفتاح: وباء كورونا: خطر حال وخلفيات تآمرية، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠
٣٢. ليلى الرطيمات: النظام العالمي ما بعد جائحة كورونا، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠
٣٣. مايك اوسترهولم: كورونا: البؤس الوبائي والوعد المؤجل بمناعة القطيع!، ترجمة د صلاح عثمان، في ٧ مايو ٢٠٢٠ استرداد في يونيو ٢٠٢٠ في https://bit.ly/3wTaiXr
٣٤. محمد نشطاوي: النظام الدولة لمرحلة ما بعد كورونا والصراع الصيني الأمريكي، في عبد الرحيم العلام، حالة الطوارئ الصحية: التدابير القانونية والاقتصادية والسياسية وأبعادها، المغرب، منشورات مركز تكامل للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠

٣٥. ناصر محيي الدين ملوحي: فيروس كورونا طاعون العصر، دار الغسق للنشر، سورية، ٢٠٢٠
٣٦. نافذ أبو حسنة: كورونا والنظام الدولي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٩٩
٣٧. نعوم تشومسكي: ما بعد كورونا أخطر من الوضع الراهن، ١٣ ابريل ٢٠٢٠، الاسترداد ١٢ مايو ٢٠٢٠، في https://bit.ly/39t8ive
٣٨. ويليام جريس: ما هي الملاح الأساسية لعالم ما بعد كورونا؟، اتجاهات الأحداث، ع ٣٢، صيف – خريف ٢٠٢٠
٣٩. يورغن هابرماس: حوار مع الفيلسوف الألماني هابرماس – لوموند الفرنسية / ترجمة: نوفل الحاج لطيف، مجلة حكمة، ١١ إبريل ٢٠٢٠، الاسترداد في أكتوبر ٢٠٢٠ من https://bit.ly/3fUvpTb

مراجع باللغة الإنجليزية:

1. Bulletin de l'Académie Nationale de Médecine: COVID-19, epidemiological tracing and medical ethics, Volume 204, Issue 9, Supplement, December 2020, https://doi.org/10.1016/j.banm.2020
2. Carl Benedikt Frey, Chinchih Chen, and Giorgio Presidente: Democracy, Culture and Contagion: Political Regimes and Countries Responsiveness to Covid-19, 13 may 2020, accessed 20 June 2020 in https://bit.ly/3g3CocG
3. Chang, YY. The Post-Pandemic World: between Constitutionalized and Authoritarian Orders – China's Narrative-Power Play in the Pandemic Era. Journal OF Chinese Ppolitical Science, (2020). October 2020,
4. Chris G. Sibley email the author, Lara M. Greaves, Nicole Satherley, Marc S. Wilson, Nickola C. Overall, Carol H. J. Lee, Petar Milojev, Joseph Bulbulia, Danny Osborne, Taciano L. Milfont, Carla A. Houkamau, Isabelle M. Duck, Raine Vickers-Jones, Fiona Kate Barlow: Effects of the COVID-19 Pandemic and Nationwide Lockdown on Trust, Attitudes Toward

(ISSN: 2536 - 9555)

Government, and Well-Being, American Psychological Association, Volume 75, Issue 5 (Jul-Aug) 2020

5. Clement A. Tisdell: Economic, Social and Political Issues Raised by the COVID-19 Pandemic, Economic Analysis and Policy, vol 68, December (2020.
6. Debjani Mukherjee: Experiencing Community in a Covid Surge, The Hastinds Center Report, Vol 50, Issue 3, May/June 2020, p.10. John H. Farley and others: Promoting health equity in the era of COVID-19, Gynecologic Oncology, 2020-07-01, Volume 158, Issue 1, Page 28
7. Georgiades, Christos: Leadership Lessons From Prior Pandemics : Turning the Coronavirus Disease 2019 (COVID-19) Pandemic Into an Opportunity. In: Journal of the American College of Radiology; Vol. 17, No. 7.٢٠٢٠ .
8. Givens, J.W., Mistur, E. The Sincerest Form of Flattery: Nationalist Emulation during the COVID-19 Pandemic. J OF CHIN POLIT SCI (2020). https://doi.org/10.1007/s11366-020-09702-7, 23 October 2020, accessed 25 October 2020
9. Hongwei Hea, Lloyd Harris: The impact of Covid-19 pandemic on corporate social responsibility and marketing Journal of Business Research, vol 116, may 2020
10. Jay Bhattacharya, Sunetra Gupta, Martin Kulldorff: Focused Protection: The Middle Ground between Lockdowns and "Let it Rip.", November 25, 2020, in https://gbdeclaration.org/focused-protection/, accessed in December 2020
11. John H. Farley and others: Promoting health equity in the era of COVID-19, Gynecologic Oncology, 2020-07-01, Volume 158, Issue 1, Page 26: 28
12. Jonathan Marcus: Coronavirus: US-China battle behind the scenes, 24 march 2020, accessed 20 may 2020, in

https://bbc.in/3aHwlXU

13. Julian Savulescu and others: Utilitarianism and the pandemic, Bioethics, Volume 34, Issue 6, july 2020
14. Larry Dossey: Threats from the coronavirus, lessons from the plague, Explore (NY;16(4):). Jul-Aug 2020
15. Martin Kulldorff, Dr. Sunetra Gupta, Jay Bhattacharya: Great Barrington Declaration, in https://gbdeclaration.org/. October 2020, accessed in 4th November 2020
16. Patricia M. Davidson and others: Moral outrage in COVID19 Understandable but not a strategy, journal of clinical nursing, volume 29, issue 19-20, October 2020
17. Sergio G. Litewka Elizabeth Heitman: Latin American healthcare systems in times of pandemic, Developing World Bioethics, Volume 20, Issue 2, June 2020
18. Sibley, CG., Greaves, LG., Satherley, N, Wilson, M.S., Overall, N.C., Lee, C.H.J., Milojev, P., Bulbulia, J., Osborne, D., Milfont, T.L., Houkamau, C.A., Duck., I.M., Vickers-Jones, R.& Barlow, F.K. (in press). Effects of the COVID-19 pandemic and nationwide lockdown on trust, attitudes towards government, and wellbeing. American Psychologist. 10.1037/amp0000662, p 5.6
19. Simone Gold, MD, JD, FABEM: Lockdowns, in https://www.americasfrontlinedoctors.com/references/#lockdowns, accessed 20 october 2020, accessed 22 oct 2020
20. Thomas Gorguissian: The Economist- Globalisation unwound Has covid-19 killed globalisation?, 14 may 2020, in https://bit.ly/30zKFw1
21. Toni Alimi Elizabeth L. Antus Alda Balthrop-Lewis James F. Childress Shannon Dunn Ronald M. Green Eric Gregory Jennifer A. Herdt Willis Jenkins M. Cathleen Kaveny Vincent W. Lloyd Ping-cheung Lo Jonathan Malesic David Newheiser

(ISSN: 2536 - 9555)

Irene Oh Aaron Stalnaker: COVID-19 and Religious Ethics, Journal of Religious Ethics, vol 48, issue 3, September 2020

22. Udo Schuklenk: COVID19: Why justice and transparency in hospital triage policies are paramount, Bioethics, Volume 34, Issue 4, may 2020, p 326
23. Vernon Coleman: Coronavirus – the Madness of Governments, http://www.vernoncoleman.com/main.htm, 14 march 2020, accessed 1 may 2020
24. Yung-Yung Chang: The Post-Pandemic World: between Constitutionalized and Authoritarian Orders – China's Narrative-Power Play in the Pandemic Era, Journal of Chinese Political Science https://doi.org/10.1007/s11366-020-09695-3, 12, October 2020, accessed 20 october 2020

فيديوهات من اليوتيوب

1. https://www.youtube.com/watch?v=cauyuRFYczM&fbclid=IwAR1j2qx6Hiw9jkqdtB8nZ_kpg3SLzqlhGOP_IiM_9kdgBHqdFhyR4hYHds0
2. https://www.youtube.com/watch?v=EewEYrPpMbA